كتاب

المعراج للشيخ الغيطي

رحمه الله تعالى

آمين

وقول قال هذه رسالة في معراج النبي عليه السلام للفاضل الشيخ الغيطي عليه رحمة ملك السلام

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي رفع قدر نبينا محمد صلي الله عليه
وسلم في الدنيا والاخرة واسري به ليلا من المسجد
الحرام الي المسجد الاقصي فاعظم بذلك فخرا وقدمه
جبريل فصلي بالانبيا والمرسلين ليعلم انه الامام
الاعظم وانه بذلك المقام احري ثم رقي الي به
السموات العلي الي سدرة المنتهي وظهر لمستوي
سمع فيه صريف الاقلام وراي من ايات ربه
الكبري وتجلي له وخاطبه وثبت فواده واعطاه
سوله واعظم له بذلك اجرا فسبحانه من اله نزه
نفسه بنفسه في نظام الانبا عن الاسرا واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تتوالي
علينا امدادها تترا واشهد ان سيدنا ونبينا
محمدا صلي الله عليه وسلم عبده ورسوله الذي
بعثه رحمة للعالمين وكنزا لهم وذخرا صلي الله
وسلم عليه وعلي اله وصحبه وتابعيه خصوصا
وارثيه الذين اشاد الله لهم في الخافقين ذكرا
وبعد فقد قال الله تعالي في كتابه المبين
وهو اصدق القايلين بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام
الي المسجد الاقصي الذي باركنا حوله لنريه من

ايتنا

ايتنا انه هو السميع البصير وسنتكلم ان شا الله
تعالي علي بعض فوايد هذه الاية الكريمة وعلي
فوايد بعض ايات من اول سورة والنجم ثم نورد
حديث قصة الاسرا والمعراج ونتكلم علي بعض
فوايد ذلك مستمدا من الله المعونة والهداية
والكفاية والرعاية فنقول سبب نزولها كما
قاله الامام ابو حيان ان النبي صلي الله عليه
وسلم لما ذكر الاسرا كذبوه فانزلها الله تعالي
ووجه اتصال هذه السورة بما قبلها ومناسبتها
لها ان الله تعالي لما امره صلي الله عليه وسلم
بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وان يضيق صدره
من مكرهم وكان من مكرهم نسبته الي الكذب
والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به اعقب الله
سبحانه وتعالي ذلك بشرفه وفضله واحتفايه
وعلو منزلته عنده بذكر الاسرا في اول هذه
السورة وايضا لما امره بالصبر في اخر السورة
المتقدمة بقوله واصبر وما صبرك الا بالله.
والصبر هو التحمل للمكاره والتحمل من جملة ما يودي
الي التجمل ومنه ما ذكر في اول هذه السورة
وقد روي البخاري عن ابن مسعود انه قال
في سورة بني اسرايل والكهف ومريم وطه والانبيا

نص من العتاق الاول وهن من تلادي والعتاق بكسر
العين المهملة جمع عتيق والعرب تجعل كل شي بلغ الغاية
في الجودة عتيقا والاول بضم الهمزة وفتح الواو المخففة
والاولوية باعتبار حفظها او باعتبار نزولها لانهن
مكيات وقوله من تلادي بكسر التا الفوقية وتخفيف
اللام وبعد الالف دال مهملة اي مما حفظته قديما وهو
ضد الطارف ومراده ان لهن فضلا باعتبار ما تقدم
وما تضمنه مفتتح كل منها من امر غريب وقع في العالم
خارق للعادة وهو الاسرا وقصة اصحاب الكهف
وقصة مريم وهذا اوجه في قوله ترتيبها وهو
اشتراكها في قدم النزول وكونها مكيات وكلها
مشتملة علي القصص وروي الامام احمد عن
عايشة رضي الله تعالي عنها قالت كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرايل
والزمر والحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح
كما قاله في زاد المسير وجهان احدهما ان العرب
تسبح عند الامر العجيب فكانه الله سبحانه وتعالي
عجب خلقه بما اسدي الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم من الاسرا به الثاني ان يكون خرج
مخرج الرد عليهم لانه صلي الله عليه وسلم لما
حدثهم عن الاسرا كذبوه فيكون المعني تنزه الله

تعالي

تعالي ان يتخذ رسولا كذابا فان قلت ما الحكمة
في افتتاح سورة الاسرا بالتسبيح والكهف بالتحميد
اجيب بان التسبيح حيث جا قدم علي التحميد نحو
فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله لان التسبيح
هو التنزيه والحمد الثنا فالاول من باب التخلية
والثاني من باب التحلية والتخلية متقدمة علي
التحلية واجيب ايضا بان سورة سبحان لما
اشتملت علي الاسرا وكذب المشركون به النبي
صلي الله عليه وسلم وتكذيبه تكذيب لله ان
سبحانه وتعالي اتي بسبحان لتنزيه الله عز
وجل عما لا يليق به وينسب اليه من الكذب
وسورة الكهف لما نزلت بعد سؤال المشركين
عن قصة اصحاب الكهف وتاخر الوحي
نزلت مبينة ان الله سبحانه وتعالي لم يقطع
نعمته عن نبيه ولا عن المومنين بل اتم عليهم
النعمة بانزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد
علي هذه النعمة واما سبحان فهو اسم بمعني
التسبيح الذي هو التنزيه فهو اسم واقع
موقع المصدر ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد
يستعمل علما فينقطع عن الاضافة ويمنع من
الصرف وانتصابه بفعل مضمر اي اسبح الله

سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده به
ودل على التنزيه البليغ لان في حذف العامل واقامته
مقامه الدلالة على ان المقصود بالذات هو المصدر
والفعل تابع فيفيد الاخبار بسرعة وجود التنزيه
والتسبيح مما استاثر الله سبحانه وتعالى به واذا
قلنا بانه علم للتسبيح فالعلم على نوعين علم شخصي
وعلم جنسي ثم انه يكون تارة للعين وتارة
للمعنى فهذا من العلم الجنسي الذي يكون للمعنى
فان قلت لفظ سبحان واجب الاضافة فكيف
الجمع بين العلمية والاضافة اجيب بانه ينكر
ثم يضاف كما قال الشاعر

علا زيدنا يوم النقى راس زيدكم
بابيض ماضي الشفرتين يماني

فبدا كما قال بعضهم بالمصدر اي بالاسم الموضوع
موضعه في بني اسرايل لان المصدر هو الاصل
ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف لانه اسبق
الزمانين ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن ثم
بالامر في الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع
جهاتها فهو ذكر يعظم الله به يختص به لا يصلح
لغيره ولا يستعمل الا فيه واما قول الشاعر
سبحان من علقمة الفاخر فعلى سبيل الشذوذ

اي العجب من علقمة اذ يفتخر والعرب تقول
سبحان من كذا اذا تعجب منه قال الراغب
وقول الشاعر سبحان من علقمة الفاخر تقديره
سبحان علقمة على التهكم فزاد فيه من رد الى
اصله وقيل اراد سبحان الله من اجل علقمة
فحذف المضاف اليه انتهى فعلى الثاني لا شذوذ
فيه لانه ما استعمل في غير الله لانه مضاف وقد
حذف المضاف اليه وهو مراد للعلم به وابقى
المضاف على حاله مراعاة لاغلب احواله اعني
التجرد عن التنوين وعلى ذلك لا شاهد فيه
على العلمية لانه مضاف وفي الوجه الاول نظر
لان من لا تزاد في الاثبات وعلقمة صحابي
قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايع
وهو شيخ واستعمله عمر على حوران ومات بها
وفي الاستيعاب علقمة بن علاثة الكلابي العامري
من المولفة قلوبهم كان سيدا في قومه حليما عاقلا
ولم يكن فيه ذاك الكرم واما معناه فقد روى
الحاكم ان طلحة ابن عبيد الله رضي الله تعالى عنه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى
سبحان الله فقال تنزيه الله من كل سوء
وروى ابن ابي حاتم عن علي رضي الله تعالى عنه

قال سبحان الله كلمة احبها الله تعالي لنفسه ورضيها
واحب ان تقال له وقال الكرماني وغيره اعلم انه
تعالي له صفات سلبيه مثل لا شريك له ولا ضد
ولا ند وكذا ساير التنزيهات وتسمي بصفات
الجلال وله تعالي صفات وجودية كالعلم والقدرة
وتسمي بصفات الاكرام فالتسبيح اشارة الي
الاولي واصل ذلك الاقتباس من قوله تعالي
ذو الجلال والاكرام وحاصل المعني تنزيه الحق
سبحانه وتعالي نفسه المقدسة عن جميع
شوايب النقص وتبعيده من السو في الذات
والصفات والافعال والاسما والاحكام فيلزم
نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذايل
من سبح في الارض اذا ذهب فيه وابعد اي
ما ابعد الذي له هذه القدرة عن جميع
النقايص وصدر به هنا للتنزيه فاعل ما بعد
عن النقايص او للتنزيه تعالي عن العجز عن
اسرا به بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد
الاقصي وقد ورد في فضل التسبيح ما رواه مسلم
وغيره عن ابي ذر رضي الله تعالي عنه قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم الا اخبرك باحب
الكلام الي الله ان احب الكلام الي الله سبحان الله

وبحمده

وبحمده وفي رواية الترمذي سبحان ربي وبحمده
وفي رواية المسلم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
سيل اي الكلام افضل قال ما اصطفي الله لملايكته
او لعباده سبحان الله وبحمده وهذا محمول علي
كلام الادميين والا فالقران افضل من التسبيح
والتهليل المطلق واما الماثور في وقت او حال
فالاشتغال به افضل وفي صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة رضي الله تعالي عنه ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال ومن قال سبحان الله
وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه وان
كانت مثل زبد البحر قال الطيبي يوم مطلق لم يعلم
في اي وقت من اوقاته وقال غيره ظاهر الاطلاق
يشعر بانه يحصل هذا الاجر المذكور لمن قال
ذلك مائة مرة سوا قالها متوالية او متفرقة
في مجالس او بعضها اول النهار وبعضها اخره
وقوله غفرت ذنوبه اي الصغاير من حقوق الله
خاصة لان حقوق الناس لا تغفر الا باسترضاء
الخصوم وروي البزار عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست
له نخلة في الجنة واخرج الطبراني في الاوسط عن

والخرايطي وابن مردويه عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اصبح
سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه
من الله وكان اخر يومه عتيق الله قال الحافظ
الهيثمي في مجمع الزوائد بعد ايراده رواه
الطبراني في الاوسط وفيه من لم اعرفه انتهى
وهذه فايدة عظيمة ينبغي ان يحافظ عليها
وغنيمة جسيمة يبادر الى الاعتنا بها والمداومة
عليها ويشبهها ما يتداوله السادة الصوفية
من قول لا اله الا الله سبعين الف مرة ويذكرون
ان الله يعتق بها رقبة من قالها واشترى بها
نفسه من النار او رقبة من يقولها عنه ويشتري
بها نفسه من النار ويحافظون على فعلها لانفسهم
ولمن مات من اهاليهم واخوانهم وقد ذكرها
الامام اليافعي والعارف الكبير المحيري ابن
عربي واوصى بالمحافظة عليها وذكروا انه
قد ورد فيها خبر نبوي وحكوا ان شابا صالحا
كان من اهل الكشف مات امه فصاح وبكى
وخر مغشيا عليه ثم سيل عن سبب ذلك فذكر
انه راى امه في النار وكان بعض المشايخ من
السادة حاضرا وكان قد قال هذه السبعين

الفا

الفا واراد ان يعدها لنفسه فقال في نفسه عند
ما سمع قول الشاب المذكور اللهم انك تعلم اني
هللت هذه السبعين الف تهليلة واريد ان
ادخرها لنفسي واشهدك اني قد اشتريت
بها ام هذا الشاب من النار فما استتم هذا
الوارد الا وتبسم الشاب وسر وقال الحمد لله
ارى امي قد خرجت من النار وامر بها الى
الجنة فقال الشيخ المذكور فحصل لي فايدتان
صدق الخبر المذكور وصحته وصدق كشف
هذا الشاب انتهى لكن الحديث المذكور قال
بعض المشايخ لم ترد به السنة فيما اعلم وقد
وقفت على صورة سوال للحافظ ابن حجر
رحمه الله تعالى عن هذا الحديث وهو من
قال لا اله الا الله سبعين الفا فقد اشترى
نفسه من الله هل هو حديث صحيح او حسن او
ضعيف وصورة جوابه اما الحديث المذكور
فليس بصحيح ولا حسن ولا ضعيف بل هو باطل
موضوع لا تحل روايته الا مقرونا ببيان حاله
انتهى لكن ينبغي للشخص ان يفعلها اقتدا
بالسادة الصوفية وامتثالا لقول من اوصى
بها وتبركا بافعالهم وقد ذكرها الشيخ الولي

الزاهد العارف سيدي محمد بن عراق نفعنا الله
ببركاته في بعض سفيناته المولفة وقال كان
شيخه يامر بها وذكر ان بعض اخوانه ذكر له عن
بعض الصلحا انه كانت له سبحة عددها الف
وكان يديرها سبعين مرة من بعد صلاة
الصبح الي طلوع الشمس قال وهذه كرامة له
من الله فنسال الله ان يمن علينا بذلك وان
يلحقنا بعباده الصالحين انتهي وعن شريح العابد
قد بلغني انه لو قسم ثوا تسبيحة علي جميع هذا
الخلق لاصاب كل واحد منهم جز والفضايل كثيرة
شهيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن له بصيرة وقوله
تعالي اسري بعبده قال اهل اللغة اسرى
وسري لغتان زاد بعضهم انهما مختصتان
بسير الليل واسري لازم كسري فيحتاج الي
التعدية والهمزة هنا ليست للتعدية خلافا
لابن عطية وانما المعدي الباقي بعبده ولا
تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل
عند الجمهور خلافا للمبرد والسهيلي والعبد
لغة المملوك من نوع يعقل وقال في المحكم
العبد الانسان حرا كان او رقيقا لانه مملوك
لباريه وقال سيبويه انه في الاصل صفة

ولكنه

7

7

ولكنه استعمل استعمال الاسما واجمع المسلمون
علي ان المراد بالعبد هنا سيدنا محمد رسول الله
صلي الله عليه وسلم وقال هنا بعبده دون
نبيه او حبيبه لئلا تضل امته كما ضلت النصاري او
لان وصفه بالعبودية المضافة الي الله تعالي
اشرف المقامات قال الاستاذ ابو علي الدقاق
رحمه الله ليس للمومن اشرف ولا اتم من العبودية
ولهذا اطلقه الله تعالي علي نبيه في اشرف
المواطن كقوله سبحان الذي اسري بعبده الحمد
لله الذي انزل علي عبده الكتاب تبارك الذي
نزل الفرقان علي عبده فاوحي الي عبده
ما اوحي وقال البرهان النسفي رحمه الله
تعالي قيل لما وصل النبي صلي الله عليه وسلم
الي الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج
اوحي الله تعالي اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب
بان تنسبني الي نفسك بالعبودية فانزل الله
تعالي سبحان الذي اسري بعبده وفي ذلك قيل
لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسما
اسم الاشارة راجع واقوال العلما في العبد
والعبودية كثيرة وكل واحد تكلم بلسان قاله
علي قدر مقامه وحاله فقال ابن عطا العبد

بمعنى

الذي لا ملك له وقال رويم يتحقق العبد بالعبودية
اذا اسلم القياد من نفسه الى ربه وتبرا من حوله وقوته
وعلم ان الكل له وبه وقال عبد الله ابن محمد حرث
صفة العبودية ان كنت لا ترى لنفسك ملكا وتعلم
انك لا تملك لها نفعا ولا ضرا وما احسن ما قيل
في هذا القبيل ٭ وكنت قديما اطلب الوصل منهم ٭
فلما اتاني العلم وارتفع الجهل ٭ تيقنت ان العبد
لا طلب له ٭ فان تقربوا فضل وان ابعد فا
عدل ٭ وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم ٭
وان ستروا فالستر من اجلهم يحلوا ٭ قال الامام
الرازي دل قوله بعبده على ان الاسرا كان
بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العبد
اسم للجسد والروح قال الله تعالى ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى وانه لما قام عبد الله يدعوه
وقوله تعالى ليلا هو ظرف للاسرا واستشكل
كثير من الناس كون ليلا ظرفا للاسرا لانه
تقدم ان الاسرا هو سير الليل فاذا اطلق الاسرا
فهم انه واقع ليلا فهو كالصبوح في شرب الصباح
لا يحتاج الى قوله شربت الصبوح صباحا وجوابه
ان الامر وان كان كذلك الا ان العرب تفعل
مثل ذلك في بعض الاوقات اذا ارادت تاكيد

الامر

الامر والتاكيد نوع من انواع كلامهم واسلوب
منه والعرب تقول اخذ بيدك وقال بلسانه
وقال بعضهم فايدة التاكيد ههنا رفع توهم
المجاز لانه قد يطلق على سير النهار ايضا وقال
الزمخشري اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل
مدة الاسرا وانه وقع السري به في بعض الليل
من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان
التنكير فيه قد دل على معنى البعضية قال ويشهد
لذلك قراة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض
الليل وقال غيره فكان المعنى سبحان الذي
اسرى بعبده في ليلة واحدة من كذا الى كذا
وهو موضع التعجب وانما عدل عن ليلة الى
ليلا لانهم اذا قالوا سرى ليلة كان ذلك في
الغالب لاستيعاب الليلة بالسري فقيل ليلا اي
في ليل قال ابن المنير رحمه الله وانما كان الاسرا
ليلا لانه وقت الخلوة والاختصاص عرفا ولانه
وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه في قوله
تعالى قم الليل وليكون ابلغ للمومنين في الايمان.
بالغيب وفتنة للكافر وقال بعض اهل الاشارات
لما محى الله اية الليل وجعل اية النهار مبصرة
انكسر الليل فجبر بان اسرى فيه بمحمد صلى الله

عليه وسلم قال ابن دحية اكرم الله نبينا صلى الله
عليه وسلم ليلا بامور منها انشقاق القمر وايمان
الجن به ورأى اصحابه نيرانهم كما في صحيح مسلم
وخرج الى الغار ليلا والليل اصل ولهذا كان اول
الشهر وسواده يجمع ضوء البصر ويجد كليل النظر
ويستلذ فيه بالسهر وكان صلى الله عليه وسلم
اكثر اسفاره ليلا وقال عليه الصلاة والسلام عليكم
بالدلجة فان الارض تطوي بالليل والليل وقت
الاجتهاد للعبادة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم
حتى تورمت قدماه وكان قيام الليل في حقه
واجبا فلما كانت عبادته ليلا اكرمه الله بالاسرى
فيه وليكون اجر المصدق به اكثر ليدخل في
ضمن من امن بالغيب دون من عاينه نهارا
وقدم الحق تبارك وتعالى الليل في كتابه على ذكر
النهار فقال عز وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا الى غير ذلك من الايات
وصح انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا
تبارك وتعالى كل ليلة الى السما الدنيا حين يبقى
ثلث الليل الاخر فيقول من يدعني فاستجيب
له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر

له الحديث وهذه الخصيصة لم تحصل للنهار رتبه
صلى الله عليه وسلم لما في ذلك الوقت من الليل
من سعة الرحمة ومضاعفة الاجر وتعجيل الاجابة
ولابطال كلام الفلاسفة ان الظلمة من شانها
الاهانة والشر ولان الله تعالى اكرم اقواما في
الليل بانواع الكرامات كقوله في قصة ابراهيم
صلى الله عليه وسلم فلما جن عليه الليل الاية
وفي لوط بقوله فاسر باهلك بقطع من الليل
وفي موسى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وناجاه
ليلا وامره باخراج قومه ليلا انتهى ومنها اختلف
في التفضيل بين الليل والنهار وصنف فيه
بعضهم كتابا فرجح الليل بوجوه منها ما تقدم
انفا ومنها سبقه النهار اي تقدمه في الخلق
وفيه ساعة الاجابة كما تقدم وهي في كل الليالي
بخلاف الايام فهي منها في يوم الجمعة فقط ورجح
النهار بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم
خير يوم طلعت فيه الشمس يوم عرفة ويوم
الجمعة لكن رد بان هذا بالنسبة للايام لا الليل
وبان ليلة القدر خير من الف شهر وقد دخل
في هذه الليلة اربعة الاف جمعة قلت ومن اعظم
الادلة القاطعة للنزاع الدالة على تفضيل الليل

وقوع رؤية الله سبحانه وتعالى فيه للنبي صلى
الله عليه وسلم ليلة الاسري افضل من ليلة القدر
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل
في حق الامة لانها لهم خير فلم يات في ارجحية العمل
فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها
النبي وقول الامام البلقيني رحمه الله في قصيدته
التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم اولاك رؤيته
في ليلة فضلت ليالي القدر فيها الرب الرضاكا
يوخذ منه ان ليلة الاسرا افضل من ليلة القدر
ولعل الحكمة في ذلك كما قاله في الاصطفا اشتمالها
على رؤيته التي هي افضل من كل شي ولذلك لم
يجعلها ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من
بها على عباده المومنين يوم القيامة تفضلا منه
تعالى انتهى وهذا مما يويد ما قد مناه انفا في
تفضيل الليالي لكن يبقى النظر في تحرير محل
الخلاف وقد حرره بعضهم كما وجد بخط الحافظ
ابن حجر نقلا عن المهدي فقال ان كان المراد
ان ليلة الاسرا ونظايرها من كل عام افضل
من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعا فيها
افضل من ليلة القدر فهذا باطل لم يقله احد
من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاطرار وان

واراد

١٠

15

واراد الليلة المعينة التي اسري فيها بالنبي صلى الله
عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من
غير ان يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا
صحيح ان قام دليل على ان انعام الله تعالى على
نبيه ليلة الاسرا كان اعظم من انعامه عليه
بانزال القران ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي
ولا يجوز لاحد ان يتكلم فيه بلا علم ولا يعرف عن
احد من الصحابة انه خص ليلة الاسرا بامر
من الامور ولهذا لا يعرف اي ليلة كانت وان
كان الاسرا في نفسه من اعظم فضايله كما انه
صلى الله عليه وسلم لم يفضل غار حرا الذي
انزل عليه فيه الوحي ولا خص اليوم الذي ابتدي
فيه بالوحي بشي انتهى وظاهر هذا الكلام ان
الخلاف بين الليلة المعينة التي اسري فيها
بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين ليلة القدر التي
انزل فيها القران كما يدل عليه قوله ان قام دليل
على ان انعام الله على نبيه ليلة الاسرا كان اعظم
من انعامه بانزال القران ليله القدر واما
الليلة المعينة التي اسري به صلى الله عليه
وسلم فيها وليلة القدر في كل عام فينبغي ان
يكون فيها قول ابي امامة النقاش المتقدم

واما نظاير الليلة المعينة في كل عام فلا شك في
ان ليلة القدر من كل عام افضل منها لما لا يخفي
على احد **وقوله تعالي من المسجد الحرام** من لابتدا
الغاية والمسجد لغة مفعل بالكسر اسم لمكان
السجود وبالفتح اسم للمصدر واما شرعا فكل
موضع من الارض لقوله صلي الله عليه وسلم جعلت
لي الارض مسجدا وطهورا ولما كان السجود
اشرف افعال الصلاة لقرب العبد من ربه اشتق
اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقولوا مركع ثم
ان العرف خصص المسجد بالمكان المهيا
للصلوات الخمس حتي يخرج المصلي المجتمع فيه
للاعياد ونحوها فلا يعطي حكمه وكذلك الربط
والمدارس فانها هيئت لغير ذلك والحرام اي
المحرم وهو ضد الحلال وذلك لما منع المحرم فيه
مما يجوز لغيره ولما منع في الحرم مما يجوز في غيره
من البلاد **قال** الماوردي كل موضع ذكر
الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم الا في
قوله تعالي فول وجهك شطر المسجد الحرام
فانه اراد به الكعبة وقال بعضهم المراد بالمسجد
الحرام في قوله تعالي سبحان الذي اسري بعبده
ليلا من المسجد الحرام مكة لانه صلي الله عليه وسلم

كان في بيت

كان في بيت ام هاني واول مسجد وضع علي الارض
المسجد الحرام وهو مسجد مكة شرفها الله تعالي كما
قال تعالي ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة وفي
الصحيحين عن ابي ذر رضي الله تعالي عنه قال
سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن اول مسجد
وضع علي الارض قال المسجد الحرام قلت ثم اي قال
المسجد الاقصي قلت وكم بينهما قال اربعون عاما
الحديث **وقد استشكل** هذا الحديث علي بعضهم
فقال معلوم ان سليمان ابن داود صلي الله عليهما وسلم
لما بني بيت المقدس سال الله ثلاثا الحديث الاتي
ان شا الله تعالي وهو بعد ابراهيم صلي الله عليه
وسلم كما قال اهل التاريخ باكثر من الف عام وهو
القايل جهل التاريخ فان سليمان عليه الصلاة والسلام
انما كان له من المسجد الاقصي تجديد لانه اسسه
والذي اسسه هو يعقوب ابن اسحق صلي الله عليهما
وسلم بعد بنا ابراهيم الكعبة بهذا القدر **وقال**
بعضهم ان هذين المسجدين وضعا قديما ثم خربا
ثم بنيا انتهي وزعم بعضهم ان اول من بني البيت
ادم وان غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده
باربعين عاما حكاه ابن الجوزي وغيره وذكر ابن
هشام في التيجان ان ادم عليه الصلاة والسلام

لما بني البيت امره جبريل بالمسير الي بيت المقدس
وان يبنيه فبناه ونسك فيه **وقوله تعالى الى
المسجد الاقصى** كلمة الى لانتها الغاية ومدلولها
هنا انه وصل الى حد ذلك المسجد ولا دلالة
في اللفظ على انه دخل لكن القرينة تدل على دخوله
وتمي العلم بانه انما اسري به الى بيت المقدس
ليدخله ولا يدخله وصرحت السنة الصحيحة
بما اقتضته القرينة من دخوله صلى الله عليه
وسلم المسجد الاقصى وهو الذي عمره نبي الله
سليمان صلى الله عليه وسلم بامر الله عز وجل كما
تقدم وما زال مكرما محترما وهو احد المساجد
الثلاثة التي لا تشد الرحال شرعا الا اليها اي
لا يقصد بالزيارة والتعظيم من جهة امر الشارع
الا هذه الثلاثة **وقد روى** النساي وابن ماجة
وغيرهما ان سليمان لما بني بيت المقدس سال
الله ثلاثا ساله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فاعطاه اياه وساله حكما يواطي حكمه فاعطاه اياه
وساله من اتى هذا البيت يريد بيت المقدس
لا يريد الا الصلاة فيه ان يخرجه من ذنوبه كيوم
ولدته امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا ارجوا ان يكون قد اعطاه الثالثة **وروى**

ابو

12

ابو داود وابن ماجة عن ميمونة قلت يا رسول
الله افتنا في بيت المقدس قال ارض الحشر والمنشر
ايتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كالف صلاة في
غيره قلت ارايت ان لم استطع ان اصلي فيه قال
فتهدي له زيتا يسرج فيه فمن فعل ذلك فهو
كمن اتاه وهو معدن الانبيا من لدن الخليل صلى
الله عليه وسلم ولذا اجتمعوا له هناك كلهم وامهم
في محلتهم ودارهم ليدل ذلك على انه الرييس
المقدم والامام الاعظم صلى الله عليه وسلم والاقصى
افعل من القصي والقاصي هو البعيد وسمي
بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام
فبينهما مسافة ثلاثين يوما عادة او لانه لم يكن
وراه مسجد فنعت له هذا النعت وان كان راه
بعد مساجد هي ابعد منه لان العلمية اذا
ثبتت بسبب لم يضر زوال السبب ويحتمل ان
يريد بالاقصى البعيد دون مفاضلة فافعل
التفضيل ليس على بابه فكان اقصى اي ابعد
مسجد عن اهل مكة يعظم بالزيارة وقيل وصفه
بالاقصى منهم اي من العرب او من الكعبة او من
اهل مكة او من النبي صلى الله عليه وسلم **قال**
الامام ابن ابي جمرة والحكمة في اسرايه صلى الله عليه وسلم

اولا الي بيت المقدس لاظهار الحق علي من عاند
لانه لو عرج به من مكة الي السما لم يجد لمعاندة من
الاعدا سبيلا الي البيان والايضاح فلما ذكر انه
اسري به الي بيت المقدس سالوه عن اشيا من
بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها
قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه
فيما ذكر من الاسرا به الي بيت المقدس في ليلة
واذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية
ما ذكر انتهي **وقيل** الحكمة في ذلك ليحصل له
العروج مستويا من غير تعويج لما روي عن كعب
ان باب السما الذي له مصعد الملايكة يقابل بيت
المقدس قال وهو اقرب الارض الي السما بثمانية
عشر ميلا قال بعض الحفاظ وفيه نظر **وقيل**
الحكمة في ذلك ان الله اراد ان يريه القبلة التي
صلي اليها مدة كما عرف الكعبة التي صلي اليها
وقيل لانه يجمع ارواح الانبيا فاراد الله تعالي
ان يشرفهم بزيارته صلي الله عليه وسلم **وقيل**
لانه هجرة غالب الانبيا فحصل له الرحيل اليه في
الجملة ليجمع بين اشتات الفضايل **وقال** بن دحية
يحتمل ان يكون الحق سبحانه وتعالي اراد ان لا
يخلي تربة فاضلة من مشهده ووطي قدمه فتمم

يقالم

تقديس

تقديس بيت المقدس بصلاة سيدنا محمد صلي
الله عليه وسلم فيه فلما تمم تقديسه اخبر صلي
الله عليه وسلم انه لا تشد الرحال الا الي ثلاثة
مساجد المسجد الحرام لانه مولده ومسقط
راسه وموضع نبوته ومسجد المدينة لانه محل
هجرته وارض تربته والمسجد الاقصي لانه موضع
معراجه صلي الله عليه وسلم وما احسن قول بعض
العارفين في رمزه لتلك الحقايق البالغة نهايه
التمكين ومسجد الاقصي ساحب بردها وطيب
ثري ارض عليها قد سمت **وقوله تعالي الذي باركنا
حوله** البركة الزيادة والنما قال الراغب البركة
ثبوت الخير الالهي في الشي والمبارك ما فيه ذلك
الخير قيل كيف قال باركنا حوله ولم يقل باركنا عليه
او فيه مع ان البركة في المسجد تكون اكثر من
خارج المسجد وحوله خصوصا المسجد الاقصي
قلنا اراد البركة الدنيوية كالانهار الجارية والاشجار
المثمرة وذلك حوله لا فيه **وقيل** اراد البركة
الدينية فانه مقر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ومتعبدهم ومهبط الوحي والملايكة وانما باركنا
حوله لتكون بركته اعم واشمل فانه اراد بما حوله
ما احاط به من ارض الشام وما قاربه منها

ذلك اوسع من مقدحه ار بيت المقدس ولانه اذا
كان هو الاصل وقد بارك في لواحقه وتوابعه
من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الاولي
بخلاف العكس **وقيل** اراد البركتين الدنيويه
والدينية وفيه ما مر من التوجيه وقيل المراد باركنا
حوله من بركة نبات منه فعمت جميع الارض لان
مياه الارض كلها اصل انفجارها من تحت صخرة
بيت المقدس انتهي فان قيل اذا كانت البركة حول
المسجد الاقصى كما ذكرتم فماذا يتميز عليه المسجد الحرام
اجيب بان البركة حول المسجد الاقصى اما باعتبار
الدنيا ورفاهيتها وخصبها والبركة حول المسجد
الحرام باعتبار الدين والفضل وتضعيف الحسنات
فيه للطايفين والعاكفين والمتوطنين والوافدين
لان الاجر يكون علي قدر التعب وهو واد غير
ذي زرع نزهه الله عن خصب الدنيا وسعتها
ليلا يكون القصد اليه ممزوجا بقصد الدنيا
وهذه البركة الدينية افضل من تلك البركة
الدنيوية والدينية فالبركة الدينية التي في
المسجد الحرام تفضلها باعتبار ما تقدم وحوله
منصوب علي الظرفية اي اوقعنا البركة حوله وحول
الشي جانبه الذي يمكنه ان يكون يتحول اليه والضمير

فيه راجع الي المسجد الاقصى **وقوله تعالي لنريه
من اياتنا** قرا العامة بنون العظمة جريا علي نه
باركنا وفيه التفات من الغيبة في قوله اسري
بعبده الي التكلم في قوله باركنا ولنريه من اياتنا
وطريقة الالتفات من طرق البلاغة ففي الاية
التفاتان فالالتفات الاول كما تقدم والالتفات
الثاني هو من التكلم الي الغيبة في قوله انه هو
السميع البصير بناعلي ان الضمير فيه لله تعالي
كما سياتي ووجه ذلك ان قوله سبحان الذي اسري
بعبده يدل علي مسراه من عالم الشهادة الي عالم
الغيب فهو بالغيبة انسب وقوله الذي باركنا حوله
دال علي انزال البركات وتعظيم شان المنزل فهو
بالحكاية علي التفخيم احري وكذا قوله لنريه من
اياتنا يدل علي عظمة الارادة والايات المرئية
فهو اولي بالتعظيم والحكاية علي التفخيم ايضا
وقوله انه هو السميع البصير اشارة الي مقام تفر
اختصاصه بالمنح والزلفي وغيبة شهوده في عين
بي يسمع وبي يبصر فالعود الي الغيبة اولي وقرا
الحسن ليريه بالياء التحتية اي الله تعالي فعلي هذه
القراة يكون في الاية اربع التفاتات فالثالث والرابع
هو التفات من التكلم في باركنا الي الغيبة في ليريه

ثم التفت الي التكلم في اياتنا ووجهها انه في ليريه
اعادة الي مقام السر والغيبة من هذا العالم
فالغيوبية بهما اليق وقوله من اياتنا عود الي
التعظيم علي سابق ومعنى الرويه هو ما اروي
تلك الليلة من عجايب السموات والارض والايات
الدالة علي قدرة الله تعالى ومنه ما ذكر في القصة
من ذهابه في برهة من الليل سيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وتمثيل الانبيا له ووقوفه علي مقاماتهم
ومن هنا للتبعيض وانما اتي بها هنا تعظيما لايات
الله تعالى فان هذا الذي راه محمد صلي الله عليه
وسلم وان كان جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة الي
جملة ايات الله وعجايب قدرته وجليل حكمته والروية
هنا بصرية **وقيل** قلبية واليه نحا ابن عطية فانه
قال ويحتمل ان يريد لنري محمد للناس اية ان
يكون النبي صلي الله عليه وسلم اية في انه يصنع
الله به هذا الصنع فتكون الروية قلبية علي
هذا والاية العلامة الظاهرة علي ما يلازمها
فاية الشي علامته الظاهرة ثم غلب ذلك علي صدق
الرسل وعلي الالهية وكرامات الاوليا وما اشبه
ذلك **فان قيل** الاية تدل علي انه تبارك وتعالي
ما اراه الا بعض الايات وقال في حق ابراهيم عليه

الصلاة

الصلاة والسلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض يدل علي انه تعالي اراه جميع الايات فيلزم
ان يكون معراج ابراهيم افضل من معراج محمد صلي
الله عليه وسلم اجيب بان ملكوت السموات والا
رض بعض ايات الله ايضا مخصوصا والبعض
المطلق افضل من البعض المخصوص اذ المطلق
ينصرف الي الكامل والجواب المشهور عنه هو ان
بعض ايات الله افضل من ملكوت السموات والارض
انتهى وقوله تعالى **انه هو السميع البصير** الصحيح
ان الضمير بان الله تبارك وتعالى اي انه هو
السميع لاقوال محمد البصير بافعاله **قال** بعض
المحققين ولا يبعد ان يرجع الضمير الي العبد وهو
النبي صلي الله عليه وسلم كما نقله ابو البقا عن
بعضهم قال انه هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا
واما توسط ضمير الفصل فللاشعار باختصاصه
بهذه الكرامة وحده ولعل السر في مجي الضمير
محتملا كلا الامرين الاشارة الي المطلوب وانه صلي
الله عليه وسلم انما راي رب العزة به وسمع كلامه
به **قال** الماوردي في الحكمة بالاتيان بالسميع
والبصير هنا وجهان احدهما انه تعالي وصف
نفسه بهما وان كان من صفاته اللازمة لذاته في

في الاحوال كلها لانه حفظ رسوله عند الاسرا به
في ظلمة الليل فلم يضره ان لا يبصر فيها وسمع دعاه
فاجابه الي ما سال **الثاني** ان قومه لما كذبوه
حين اخبرهم باسرايه فقال السميع يعني لما يقولونه
من تصديقٍ او تكذيب البصير فيما يفعله من الاسرا
والمعراج انتهي وهذا بنا علي ان الضمير لله تعالي
وعليه فالسميع هو الذي لا يعزب عن ادراكه
مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوي بل هو
ادق واخفي يدرك دبيب النملة السودا في الليلة
الظلما علي الصخرة الصما يسمع بغير اصمخة واذان
وسمعه منزه عن ان يتطرق اليه الحدثان فالسمع
في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات
المسموعات والبصير هو الذي يشاهد ويري ولا
يعزب عنه ما تحت الثري ابصاره منزه عن ان
يكون بحدقة واجفان مقدس عن انطباع الصور
والالوان في ذاته تعالي كما ينطبع في حدقة الانسان
فالبصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف
بها كمال نعوت المصنوعات وقد ختم الله تعالي
وتقدس الاية الدالة علي اسرايه صلي الله عليه
وسلم وما يتعلق به بهاتين الصفتين العظيمتين
لما ذكرنا **فان قلت** الاسرا والمعراج كانوا في ليلة

واحدة

١٦

16

واحدة فهلا اخبرهم تعالي بعروجه الي السما
قلت استدرجهم الي الايمان بذكر الاسرا اولا
فلما ظهرت امارات صدقه ووضحت لهم براهين
رسالته واستانسوا بتلك الاية الخارقة اخبرهم
بما هو اعظم منها وهو المعراج فحدثهم النبي صلي الله
عليه وسلم به وانزل الله تعالي في كتابه في سورة
والنجم فقال **بسم الله الرحمن الرحيم والنجم
اذا هوي** الايات والكلام علي بعض فوايد ذلك
بحول الملك المالك فقوله تعالي والنجم اذا هوي
سبب نزولها كما قاله المفسرون قول المشركين
ان محمدا يختلق القران ومناسبتها لاخر ما قبلها
ظاهرة لانه تعالي **قال ام** يقولون ام تقوله اي
اختلف القران فنسبوه الي الشعر وقالوا هو كاهن
هو مجنون فاقسم الله تعالي في اول هذه السورة
انه ما ضل وما غوي وانما اتي به هو الوحي من
عند الله تعالي والنجم مكية بالاجماع وهي اول سورة نزلت
فيها سجدة واول سورة جهر رسول الله صلي الله عليه
وسلم بقراتها في الحرم والمشركين يسمعون وفيها
سجد وسجد معه المومنون والمشركون والجن
والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب
الي جبهته وقال يكفي هذا كذا وقع في عبارة بعض

المفسرين كابي حيان والسبكي غير ابي لهب وهو غريب
ففي رواية الشيخين وغيرهما عن ابي مسعود وسجد
الناس كلهم الا رجلا رايته احذ كفا من تراب فسجد
عليه فرايته قتل كافرا وهو امية ابن خلف وفي رواية
ابن ابي شيبة الا رجلين من قريش ارادا بذلك الشهرة
ويسمي احد المبهمين امية ابن خلف المتقدم والثاني
الوليد بن المغيرة كما عند بن مسعود وقال التقي السبكي
في تفسيره وعن عروة ابن الزبير ان عتبة ابن ابي
لهب وكان تحته ابنة رسول الله صلي الله عليه وسلم
اراد ان يخرج الي الشام فقال لاتين محمد اقلا اوتيته
فاتاه وقبض علي لحيته بيده فقال يا محمد هو كافر
بالنجم اذا هوي وبالذي دني فتدلي ثم تفل في وجهه
ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان
ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اعناك يا ابن
اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الي ابيه فاخبره
ثم خرجوا الي الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب
من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو
لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة
فاني اخاف علي ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها
حولهم واحدقوا بعتبة فجا الاسد يتشمم وجوههم

حتي

17

17

حتي ضرب عتبة فقتله انتهي كذا وقع بالتكبير وهو
مشكل لان عتبة ابن ابي لهب اسلم يوم الفتح هو
واخوه معتب وشهد احنينا والظاهر ان الذي
وقع له ذلك هو عتيبة بالتصغير ومات كافرا وكان
عتيبة تزوج ام كلثوم وعتبة تزوج رقية ثم طلقها
ايضا لما اسلمت ولم يدخلا بهما وقد تزوجها عثمان
بن عفان واحدة بعد واحدة وماتتا عنده
والحديث المذكور قد ذكره في الكشاف كما ذكر السبكي
والواو في والنجم للقسم والنجم مقسم به فان قيل
كيف اقسم بالنجم وهو مخلوق وقد ورد النهي عن
القسم بغير الله تعالي اجيب عنه باجوبة احدها
انه علي حذف مضاف اي ورب النجم وكذا يقدر
فيما يشابهه الثاني ان العرب كانت تعظم هذه
الاشيا وتقسم بها فنزل القران علي ما يعرفونه
الثالث ان الاقسام انما يكون بما يعظمه به او يجله
وهو فوقه والله تعالي ليس فوقه شي فاقسم تارة
بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل علي باريه
وصانعه لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ
يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وروي بن ابي
حاتم عن الحسن قال ان الله تعالي يقسم بما شا من
خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله تعالي والقصد

بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده **فان قيل** فما معنى القسم
منه تعالى فانه ان كان لاجل المومن فهو مصدق بمجرد
الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيد
اجيب بان القران نزل بلغة العرب ومن عادتها
القسم اذا ارادت توكيد امر واجاب الاستاد ابو
القاسم القشيري رحمه الله تعالى ذكر القسم لكمال
الحجة وتاكيدها وذلك ان الحكم يفصل باثنين اما
بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالى في كتابه النوعين
حتى لا يبقى لهم حجة **وقال** شهد الله انه لا اله الا
الا هو والملايكة واولوا العلم وقال تعالى فلا ي وربي
انه لحق **وعن** بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى
وفي السما رزقكم وما توعدون فورب السما والارض
انه لحق صاح وقال من ذا الذي اغضب الجليل حتى
الجاه الي اليمين **وقد اختلف** المفسرون في المراد
بالنجم هنا على اقوال **احدها** انه الجملة من القران
اذا نزلت وكل ما نزل شي في وقت فهو نجم قال ابن
عباس في تفسير هذه الاية اقسم بالقران اذا نزل
نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع ايات
وثلاث ايات وسورة وكان بين اوله واخره عشرون
سنة وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد والهوى على
هذا القول النزول من اعلا الي اسفل وعلى هذا فسمي

القران

القران نجما لتفرقه في النزول والعرب تسمي التفريق
تنجيما والمفرق نجوما **قال** ففي هذا القسم استدلال
بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه وهو
كقوله يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين **ثانيها**
انه غير بالنجم الثريا والعرب تطلق اسم النجم على الثريا
خاصة فلا يذكرونه بالاطلاق الا لها قال قايلهم طلع
النجم عشا ابتغي الراعي كسا وقال ايضا طلع النجم
غدية ابتغي الراعي شكية يعني الثريا وهي تطلع
العشا في الثلث الاخير من فصل الخريف قبل الشتا
بشهر وذلك مبادي قوة البرد لان اخر كل فصل شبيه
بالذي بعده فلهذا اطلب الراعي الكساء ويطلع بالغداه
في الصيف وقت اوان اللبن فلهذا اطلب الشكية
تصغير شكوي وهي جلد الرضيع يتخذ للبن اصغر
من الوطب وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض
من العاهة شي الا ارتفع رواه الامام احمد واراد
بالنجم الثريا وقد صار النجم عند الاطلاق علما على
الثريا بالغلبة ولا يكون علما على الثريا
الا بالالف واللام فاذا اخرجت منه الالف واللام
صار نكرة واطلقوا على الثريا نجما وان كانت انجما
قال ابن دريد هي سبعة انجم ستة منها ظاهرة
وواحد خفيفة يمتحن الناس بها ابصارهم وقال

غيره اختلفوا في عددها وذكر القاضي عياض في
الشفا انه صلى الله عليه وسلم كان يري في الثريا احد
عشر نجما **وذكر** السهيلي انه صلى الله عليه وسلم كان يري
فيها اثني عشر نجما وقال القرطبي في كتاب اسما النبي
صلى الله عليه وسلم وصفاته انها لا تزيد على تسعة
انجم فيما يذكرون وهذا القول الثاني وهو المراد
بالنجم الثريا قاله بن عباس ومجاهد في رواية عنه
واختاره بن جرير والزمخشري **وقال** السهيلي
انه الصحيح **ثالثها** ان النجم اسم جنس والمراد النجوم
كلها وهذا قاله الحسن ومجاهد **قال** الرازي ومناسبة
ذلك ان النجوم كلها يهتدى بها فاقسم بها لما بينهما
من المشابهة والمناسبة **رابعها** ان المراد بالنجم الرجوم
من النجوم يعني ما ترمي به الشياطين ويسقط في
اثارهم عند استراقهم السمع وهذا قاله بن عباس
والحسن قال بن كثير وهذا القول له اتجاه وقال
الواحدي وهذا القول ظاهر ونحن نشاهد هوي
النجم اذا رمي به قال الماوردي وسببه ان الله
اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض
الكواكب قبل مولده ففزع اكثر العرب منها وفزعوا
الي كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها
فقال انظروا البروج الاثني عشر فاذا نقص منها شي

فهو

فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقص منها شي فسيحدث
في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم
الذي استشعروه فانزل الله والنجم اذا هوي اي
ذلك النجم الذي هوي هو لهذه النبوة التي حدث
وقال ابن القيم انه اظهر الاقوال ووجهه بان الله
اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها
اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على ان
ما اتي به رسول الله حق لا سبيل للشياطين ولا طريق
له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوي رصدا بين
يدي الوحي وحرساله فالارتباط بين المقسم به
والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل
على المقسم عليه **خامسها** ان المراد به النبي صلى
الله عليه وسلم اذا هوي نزل ليلة المعراج وهذا قاله
جعفر الصادق كما نقله القاضي عياض عنه قال بعضهم
ويعجبني هذا القول لملايمته من وجوه فانه صلى الله
عليه وسلم نجم هداية خصوصا لما هدي الناس اليه
من فرض الصلاة تلك وقد علمت منزلة الصلاة من
الدين ومنها انه صلى الله عليه وسلم اضا في السما والارض
ومنها التشبيه بسرعة السير ومنها انه كان ليلا وهو
وقت ظهور النجم فهو لا يخفي على ذي بصره واما ارباب

البصاير فلا يمترون كابي بكر الصديق رضي الله عنه
انتهى وفي ذلك اقوال اخر اضربنا عنها طلبا للاختصار
ولظهور هذه عليها وقوله اذا هوي اي سقط علو
الي اسفل فعلى القول بانه القران بالمعني اذا نزل
وعلى القول بانه الثريا او جميع النجوم فالمراد بالهوي
السقوط في منازلها من الافق وعلى القول بانه الرجوم
فالمراد بالهوي الرمي بها وعلى القول بانه صلى الله
عليه وسلم فالمراد بالهوي نزوله ليلة المعراج فان قيل
ما العامل في اذا وهل هي شرطية اولا واذا كانت شرطية
فاين جوابها اجيب بان الظاهر انها ظرفية محضة لا شرطية
والعامل فيها فعل القسم المحذوف وتقديره اقسم بالنجم
وقت هويه قاله ابو البقا وغيره وهو مشكل فان فعل
القسم انشا والانشا حال واذا ظرف لما يستقبل من
الزمان فكيف يتلاقيان قال الطيبي نقلا عن المقتبس
الوجه ان اذا قد انسلخ عنها معنى الاستقبال وصارت
للوقت المجرد ونحوه اتيك اذا احمر البسر اي وقت
احمراره فقد عري عن معنى الاستقبال لانه وقت
الغيبة عنه بقوله اتيك واما ان يكون العامل في
اذا نفس النجم الذي اريد به القران قاله ابو البقا وفيه
نظر اذا اريد به انه اسم لهذا الكتاب المخصوص وقد
يقال ان النجم بمعنى المنجم كانه قيل والقران المنجم في

هذا

20

هذا الوقت قال التقي السبكي في تفسيره ويحتمل انه
يوخذ من فعل القسم معني التعظيم ويجعل هو العامل
في اذا ويحتمل ويحتمل ان يقال ان اذا شرطية على
بابها وجوابها محذوف يدل عليه القسم لكن تقديره
خبر الانشا وجملة الشرط وجوابه المحذوف معترضة
بين قوله تعالى والنجم وقوله ما ضل صاحبكم قاله
الامام الرازي الفايدة في تقييد القسم بالنجم بوقت
هويه انه اذا كان في وسط السما بعيدا عن الارض
لا يهتدي به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب
ولا الجنوب من الشمال فاذا زال تبين بزواله وتميز
جانب عن جانب كذلك النبي صلى الله عليه وسلم
خفض جناحه للمومنين وكان على خلق عظيم ما ينتفع
الناس به وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتدا به
في الدين والدنيا اما الدنيوي فلما ذكروا اما الديني فكما
قال الخليل صلى الله عليه وسلم لا احب الافلين وفيه لطيفة
وهي ان القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان من
المشركين من يعبده على عدم صلاحيته للالوهية
بهويه وافوله وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما
غوي هذا جواب القسم قال الزمخشري والضلال
نقيض الرشد اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون
من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وقال الامام الرازي

ما ملخصه وتحقيق الفرق بين الضلال والغي ان الضلال
اعم استعمالا في المواضع تقول ضل بعيري ورحلي ولا
تقول غوي فالمراد من الضلال ان لا يجد السالك الي
مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له طريق
الي المقصد مستقيم فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق
والمعنى انه علي الطريق وان طريقه مستقيمة قال ابن القيم
نفى الله سبحانه وتعالي عن رسوله الضلال المنافي للهدي
والغي المنافي للرشاد ففي ضمن هذا النفي الشهادة له
بانه علي الهدي والرشد فالهدي في علمه والرشد في
عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما تم
سعادته وصلاحه **وقوله صاحبكم** يعني به النبي
صلي الله عليه وسلم والخطاب لقريش ولفظة صاحب
تضاف تارة الي المصحوب الادني كما هنا وتارة الي
الاعلا كقولنا صاحب رسول الله صلي الله عليه وسلم
وتامل كيف قال صاحبكم ولم يقل محمد تاكيدا لاقامة
الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله
واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال
ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالي علي
ذلك بقوله لهم ام لم يعرفوا رسولهم وبقوله وما صاحبكم
بمجنون **وقوله تعالي وما ينطق عن الهوي** نزلت
لما قالت قريش ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه

وقوله

وقوله وما ينطق عن الهوي دليله علي انه ما ضل وما
غوي تقديره كيف يضل او يغوي وهو لا ينطق عن الهوي
وانما يضل من يتبع هواه ويدل عليه **قوله تعالي ولا
تتبع** الهوي فيضلك عن سبيل الله وقال تعالي اولا
ما ضل وما غوي بصيغة الماضي وقال هنا وما ينطق
بصيغة المضارع وهو ترتيب حسن في غاية الحسن
اي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوي حين
اختلا بنفسه وما ينطق عن الهوي الان حين ارسل
اليكم وجعلنا هديا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا
وصار الان منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا ولم
يقل وما ينطق بالهوي لان نفي نطقه عن الهوي ابلغ
فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوي واذا لم
يصدر عن هوي كيف ينطق به فتضمن نفي الامرين
نفي الهوي عن مصدر النطق ونفيه عن النطق فنطقه
بالحق ومصدره الهدي والرشاد لا الغي والضلال
فعن علي ذلك علي بابها وهو اولي من جعلها بمعني
البا اي ما ينطق بالهوي اي ما يتكلم بالباطل والهوي
مقصور مصدر هويته من باب تعب وهو محبة من
النفس الامارة وانما سمي الهوي هوي لانه يهوي
بصاحبه قال تعالي افرايت من اتخذ الهه هواه
الاية وقال تعالي ومن اضل ممن اتبع هواه بغير

هدا من الله الاية وقال صلي الله عليه وسلم ثلاث منجيات
وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله تعالي في السر والعلانية
والحكم بالعدل والرضي والغضب والاقتصاد في الفقر والغنا
والمهلكات شح وهوي متبع واعجاب المري برايه رواه
البزار عن انس وقال صلي الله عليه وسلم ما تحت ظل
السما من اله هو يعبد من دون الله اعظم عند الله
من هو امتبع رواه الطبراني عن ابي امامة قيل كان
علي خاتم بعض الحكما من غلب هواه علي عقله افتضح
وقال بن دريد في مقصورته وافة العقل الهوي فمن
علا علي هواه عقله فقد نجا **قوله تعالي ان هو**
الا وحي يوحي قال الامام الرازي هذا تكمله للبيان
وذلك تعالي لما قال **وما ينطق عن الهوي** كان قايلا
يقول فماذا ينطق اعن الدليل والاجتهاد فقال لا انما
ينطق عن حضرته بالوحي وهذا اللفظ ابلغ من ان
لو قيل هو وحي يوحي وفيه فايدة غير المبالغة وهو
انهم كانوا يقولون هو قول كاهن هو قول شاعر
فالمراد نفي قولهم وذلك بجعل بصيغة النفي فقال
ما هو كما يقولون وزاد بل هو وحي يوحي وكلمة ان
استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان
ان وهو ضمير يعود علي المصدر المفهوم من الفعل وهو
ينطق اي ما نطقه الا وحي يوحي وهنا احسن من قول

من جعل الضمير عايدا الي القران كالكلبي ومقاتل و
وادعي فيه بن عطية الاجماع فان عوده الي القران
عود علي غير مذكور ولم يشمل جميع نطق النبي صلي الله
عليه وسلم وعوده الي النطق المذكور يعم نطقه
بالقران والسنة وان كليهما وحي وعلي عوده الي النطق
هو بمعني المنطوق به واختار التقي السبكي ان
يكون الذي يعود عليه الضمير ما عنه النطق وفهم
ذلك من قوله عن الهوي كانه قال وما ينطق الا
عن الوحي وسياق الكلام يرشد الي هذا المعني
وقوله يوحي صفة لوحي وفايدة المجي بهذا النص
الوصف انه ينفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا بمجرد
تسمية كقوله هذا قول يقال وقيل تقديره يوحي
اليه ففيه مزيد **فايدة** واستدل علي ان جميع
نطقه صلي الله عليه وسلم بالقران والسنة وحي
بقوله تعالي وانزل عليكم الكتاب والحكمة وهما
القران والسنة ولكن القران وحي يتلي والسنة
وحي لا يتلي وبما روي الداري عن يحيي بن ابي كثير
قال كان جبريل ينزل علي النبي صلي الله عليه وسلم
بالسنة كما ينزل عليه بالقران ومثله يروي عن
حسان بن عطية وبما روي ابو داود وغيره من
حديث المقدام بن معدي كرب عن النبي صلي الله عليه

وسلم الا اني اوتيت القران ومثله معه وفي الصحيحين
ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة
كيف ترى في رجل احرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت
فاتاه الوحي ثم سري عنه فقال اين السايل انفا فجي به
فقال انزع عنك الجبة واغسل اثر الطيب واصنع في
عمرتك ما تصنع في حجتك وروى الامام احمد وغيره
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كنت
اكتب كل شي اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
اريد احفظه فنهتني قريش فقالوا انك تكتب
كل شي تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب
والرضا فامسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اكتب فوالذي نفسي بيده
ما خرج منه الا حق وروى الامام احمد وغيره عن
ابي امامة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليدخلن الجنة مثل الحيين او مثل احد
الحيين ربيعة ومضر قال رجل وما ربيعة ومضر قال
انما اقول ما اقول بقول الثاني بضم الهمزة وفتح القاف
والواو المشددة اي ما يقوله تعالى من الوحي وقد
احتج بهذه الاية اي من جعل هو راجع الى النطق لا على

اقول اصح

جعله

٢٢

23

جعله راجعا الى القران لانه اذا كان كلما نطق به وحيا
لا يكون للاجتهاد فيه مجال من لم ير الاجتهاد للنبي صلى
الله عليه وسلم واجيب عنه لانه اذا اوحي اليه بان
يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا قال البيضاوي
وفيه نظر لان ذلك بالوحي لا الوحي ان يكون ما يستند
الى الاجتهاد بسبب الوحي لا نفس الوحي قال صاحب
الكشف هذا غير قادح لانه بمنزلة ان يقول الله تبارك
وتعالى لنبيه متى ما ظننت كذا فهو حكمي ورد بان
الوحي هو الكلام المخفي الذي يدرك بسرعة ولا يندرج
الحكم الاجتهادي بما ذكره تحته ولعل الاولى ان يندرج
ما يثبت بالوحي فيه بعموم المجاز ونظر فيه بان وصف
الوحي بقوله يوحى لدفع احتمال المجاز وايضا فاياه
قوله علمه شديد القوى لان ما يستند الى الاجتهاد
ليس من تعليمه فليتامل وقد منع الاجتهاد له صلى الله
عليه وسلم طايفة وجوزه قوم في الحروب والاراء دون
الاحكام وتوقف فيه كثيرون والصحيح جوازه ووقوعه
وهو قول الشافعي وابي يوسف وقد يتمسك المانع من
ذلك بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ويتمسك
المجوز له بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وهو
يحتمل لان يراد به انه اراه بالوحي ومن ادلة الوقوع
قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى

يتخذن في الارض عفي الله عنك لم اذنت لهم عوتب على ده
استبقا اسري به ربا الغدا وعلى الاذن لمن ظهر نفاقهم
في التخلف عن غزوة تبوك ولا يكون العتاب فيما صدر
عن وحي فيكون عن اجتهاد قال التقي السبكي في تفسيره
ومن اقوي ادلة القايلين بالوقوع يعني في غير الحروب
قول النبي صلي الله عليه وسلم الا الاذخر عقب ما قيل له الا
الاذخر ونحوه ذلك ساطعا لاحتمال ان يكون اوحي
اليه في تلك اللحظة **قوله تعالي علمه شديد القوي**
اخبر تعالي عن وصف من علمه الوحي بما يعلم انه مضاد
لاوصاف الشيطان معلم الضلالة والغواية وعلمه صفة
للوحي اي علمه اياه قالها عايدة الي صاحبكم وهو النبي صلي
الله عليه وسلم وهو الظاهر ويكون المفعول الثاني محذوفا
اي علم شديد القوي صاحبكم النبي الوحي اي الموحي ويجوز
ان يكون للوحي فيكون المفعول الاول محذوفا اي علم الوحي
شديد القوي صاحبكم النبي وشديد القوي هو جبريل
اي قواه العلمية والعلمية كلها شديدة وفي ذلك مدح المعلم
وهو مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ما كان يحصل للنبي صلي
الله عليه وسلم فضيلة ظاهرة وفيه رد عليهم حيث قالوا
اساطير الاولين لم يعلمه احد فقيل بل علمه شديد القوي
وفيه الوثوق بقول جبريل عليه السلام لوصفه بذلك وهو
شديد القوي وهي تشمل العلميه والعمليه وذلك مما يزيد

المعلم

اي بالك شديد قواه والاضافة
غير حقيقية لانها اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها م

المعلم وثوقا وقوة وشديد القوي من اضافة الصفة
المشبهة الي فاعلها وهو جبريل علي قول بن عباس واكثر
المفسرين **وقال** الحسن هو الله تعالي والشديد هو المبين
الشدة والقوي جمع قوة **وقد** روي بن عساكر عن معاوية
بن قرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لجبريل
ما احسن ما اثني عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين ما كانت قوتك وما كانت امانتك
قال اما قوتي فاني بعثت الي مداين قوم لوط وهي اربع
مداين وفي كل مدينة اربع مائة الف مقاتل سوي الذراري
فحملتهم من الارض السفلي حتي سمع اهل السما اصوات الدجاج
ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتي فلم اومر
بشي فعدوته الي غيره وقال محمد بن السايب من قوة
جبريل انه اقتلع مداين قوم لوط من الما الاسود فحملها
علي جناحه حتي رفعها الي السما حتي اسمع اهل السما نباح
كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته ايضا انه ابصر
ابليس يكلم عيسي بن مريم صلي الله عليه وسلم علي بعض
عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه باقصي
جبل بالهند ومن قوته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم
فاصبحوا جاثمين خامدين ومن قوته هبوطه من السما
علي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وصعوده اليها
في اسرع من طرفة عين قوله تعالي **ذو امرة** اي ذو ا

قوة كما رواه الفريابي عن مجاهد ويويد قوله صلي الله
عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي
رواه احمد وغيره وقيل ذو اجزالة في الراي وكمال في العقل
وقال بن عباس ذو منظر حسن رواه ابن جرير وقيل
غير ذلك ولا تنافي بين الاقوال لانه متصف بها صلي الله
عليه وسلم **قال** الفرا واصل المرة الفتل تقول فتل
الحبل مرا اي محكم شديد الفتل وقد امررته ادرت
بعضه الي بعض في الفتل فان قيل علي القول بتفسير
المرة بالقوة قد تقدم كونه شديد القوي فكيف
تكون قواه شديدة وله قوة **واجيب** بان افراد مرة
بالذكر ربما يكون لبيان ان قواه المشهور شديدة
وله قوة اخري خصه الله تعالي بها علي انا نقول المراد
ذو اشدة وهي غير القوة وتقديره علمه من قواه
شديدة وفي ذاته ايضا شدة فان الانسان ربما يكون
كثير القوة صغير الجثة او يقال انه تعالي اراد بقوله
شديد القوي اي قوة العلم وبقوله ذو امرة اي
شدة في الجسم فقدم العلمية علي الجسمية كما قال تعالي
وزاده بسطة في العلم والجسم قوله تعالي **فاستوي وهو
بالافق الاعلي** الفا سببية فان التشكل بشكله الذي
فطر عليه تسبب عن شدة قوته وقدرته علي الخوارق
او عاطفة علي علمه اي علمه علي غير صورته الاصلية ثم

استوى

25

استوي علي صورته الاصلية وهذا بنا علي ان الضمير
لجبريل وهو قول الجمهور يعني استقام جبريل علي
صورته الحقيقية او ظهر في صورته التي خلقه الله عليها
لانه كان ياتي النبي صلي الله عليه وسلم في صورة الادميين
كما كان ياتي الانبيا من قبله فساله النبي صلي الله عليه
وسلم ان يريه نفسه في الصورة التي خلقه الله عليها
فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السما فاما
في الارض ففي الافق الاعلي وكان النبي صلي الله عليه وسلم
بحرا فطلع له جبريل من مشرق الارض الي المغرب فخر
النبي صلي الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في
صورة الادميين وضمه الي نفسه وجعل يمسح الغبار
عن وجهه فلما افاق النبي صلي الله عليه وسلم
قال يا جبريل ما ظننت ان الله تعالي خلق احدا علي
مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين
من اجنحتي وان لي ستماية جناح سعة كل جناح
ما بين المشرق والمغرب فقال ان هذا لعظيم فقال
وما انا في جنب ما خلق الله تعالي الا يسير ولقد خلق
الله تعالي اسرافيل له ستماية جناح قدر جميع اجنحتي
وانه ليتضال بالضاد المعجمة والهمزة احيانا من مخافة
الله تعالي حتي يكون قدر الوصع بفتح الواو والصاد
وبالعين المهملة يعني العصفور الصغير ويدل علي ذلك

ايضا قوله تعالي ولقد راه بالافق المبين وهذه
الروية لجبريل لم تكن ليلة الاسرا بل قبلها ورسول الله
صلي الله عليه وسلم في الارض اوايل البعثة بعد فترة
الوحي كما قاله ابن كثير واما في السما فعند سدرة المنتهي
ليلة الاسرا كما سياتي في قوله تعالي ولقد راه نزلة اخري
عند سدرة المنتهي ولم ير جبريل عليه الصلاة والسلام احد
من الانبيا علي تلك الصورة الا نبينا صلي الله عليه وسلم
غير تلك المرتين **وقيل** استوي بمعني استولي بقوله
علي ما جعل له من الامر وهو مبتدا عايد لجبريل كما
تقدم وبالافق خبره والجملة حال من فاعل استوي او
انها جملة مستانفة اخبر الله تبارك وتعالي بذلك
والافق بضمتين او بضمة فسكون مثل عسر وعسر
الناحية من الارض او من السما والجمع افاق والمراد
به مطلع الشمس كما قاله مجاهد ووصف الافق بالاعلي
قال الواحدي ليس المراد به الاعلي في السما وانما المراد
جانب المشرق وهو فوق جانب الغرب فهو اعلي منه
في صعيد الارض لا في الهوي وقيل الضمير ان العفوي
وفي وهو لله تعالي وهو قول الحسن علي معني العظمة
والقدرة والسلطان **قوله تعالي ثم دني** فتدلي
الدنو هو القرب اما حسا واما معنا والتدلي هو
الامتداد من علو الي سفل هذا اصله ثم استعمل في

القرب

القرب من العلو ويكون ايضا حسا او معني فالقرب
المستفاد من التدلي اخص من القرب المستفاد الدنو
وبهذا يحسن عطفه عليه وتقديم الدنو فقديما للاعم
علي الاخص وهذا اولي من قول من قال ان هذا من
التقديم والتاخير وان المعني ثم تدلي من الافق
فدني لان الاصل عدم ذلك واولي من قول من
قال ان معني دني فتدلي واحد لان التاسيس اولي
من التاكيد **وقيل** ان دنا بمعني قصد القرب من
النبي صلي الله عليه وسلم وتحرك من المكان الذي
كان فيه فتدلي فنزل الي النبي صلي الله عليه وسلم
وقيل فتدلي اي فتدلل من الادلال فتكون الفه مبدلة
من لام **قال** الجوهري قوله تعالي ثم دني اي فتدلل
كقوله ثم ذهب الي اهله يتمطي اي يتمطط والضمير
المسند اليه دني فتدلي عايد الي جبريل كما قاله الجمهور اي
دني جبريل من النبي صلي الله عليه وسلم والمعني ان
النبي صلي الله عليه وسلم لما راي من عظمة جبريل ما راي
وهاله ذلك رده الله تعالي الي الصورة التي كان يعتاد
النزول عليه وقرب من النبي صلي الله عليه وسلم **وقال**
اخرون الضمير عايد الي الرب اي دنا الرب سبحانه
وتعالي من محمد صلي الله عليه وسلم **وقال** وهذا علي
سبيل المجاز لان دنو الله تعالي من العبد ودنو العبد

فتدليهم

من الله تعالى فالرتبة والمكانة والمنزلة ولجابة
الدعوة واعطا الامنية لابالمكان والمسافة والنقلة ه
وهذا القول يحكي عن ابن عباس وانس ولم يقل احد
ان المراد الدنو من الله حسا كما قد يتوهمه من يقول
بالجهة بل بما ذكرناه من تعظيم المنزلة وتشريف
الرتبة واشراق انوار المعرفة ومشاهدة اسرار
الغيب والقدرة وبسط الانس والاكرام **قال** بن
عطية والصحيح عندي ان جميع ما في هذه الايات
هو مع جبريل بدليل قوله ولقد راه نزلة اخري فان
ذلك يقتضي نزلة متقدمة وما روي قط ان محمدا
راي ربه قبل ليلة الاسرا انتهي **قال** الامام التقي السبكي
ليس في قوله نزلة اخري صراحة بانها قبل ليلة الاسرا
فقد يكون راه فيها مرتين قوله تعالى **فكان قاب قوسين
او ادنى** القاب يطلق علي ما بين المقبض والسية من
القوس والسية هي الفرضة التي يوضع فيها الوتر ولكل
قوس قابان وقيل القاب جنب الوتر من القوس قاله
مجاهد ويطلق القاب ايضا من اللغة علي القدر والقوس
هي التي يرمي بها **وقيل** المراد بها الذراع لانه يقاس به
الشي قال بعضهم وليس المراد في الاية القاب وانما
المراد القدر والقوس الذراع ورجح هذا القول بما اخرجه
بن مردويه باسناد صحيح عن بن عباس قال القاب القدر

والقوس من الذراعين ويؤيده انه لو كان المراد به
القوس التي يرمي بها لم يمثل بذلك ليحتاج الي التثنية
فكان يقال قاب رمح اونحو ذلك وقد قيل ان المراد
القوس ولكنه جا في الاية علي القلب والمراد فكان
قابي قوس فقلبه لان لكل قوس قابين بنا علي انه
ما بين المقبض الي السية وعلي كل ففي الاية مضافات
محذوفات يضطر لتقديرها اي فكان مقداره مسافة
قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين **فان قلت**
من هو المحدث عنه في الاية الذي شبه قربه بقاب
قوسين **قلت** هو جبريل كما نقله القاضي عن الجمهور
وقال الحافظ عماد الدين بن كثير انه هو الصحيح في التفسير
كما دل عليه كلام اكابر الصحابة **وقد** روي الشعبي عن
مسروق قال قلت لعايشة رضي الله تعالى عنها ثم
دني فتدلي فكان قاب قوسين او ادني قالت ذاك
جبريل **قال** ابن القيم لان جبريل هو الموصوف بما
من اول السورة الي قوله ولقد راه نزلة اخري عند
سدرة المنتهي هكذا فسره النبي صلي الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح لعايشة قالت عايشة رضي الله تعالى
عنها سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال
ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين رواه
مسلم ولفظ القران لا يدل علي غير ذلك ثم ساق وجوها

سبقه دالة علي ذلك واما ما وقع في البخاري من رواية
شريك ودنا الجبار رب العزة فتدلي حتى كان منه قاب
قوسين او ادنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا
خلط فيه وذكر فيه امورا منكرة لكن **قال** ابن القيم
ان الدنو والتدلي الذي في حديث شريك غير هذا وجزم
ابن كثير بان الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي
في الاية وقال الامام الرازي في تفسيره فكان قاب
قوسين اي فكان بين جبريل ومحمد صلي الله عليه وسلم
مقدار قوسين او اقل وهذا علي استعمال العرب وعادتهم
فان الاميرين منهم او الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا
خرجا بقوسيهما جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس
صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه
فيمدان باعيهما بين ذلك فتسمي مبايعة وقوله او ادنى
قال ابن القيم او هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر
المسافة وانها لا تزيد علي قوسين البتة كما قال تعالى وارسلناه
الى مائة الف او يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون
عن مائة الف رجلا واحدا ونظيره قوله تعالى ثم
قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة
اي لا ينقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد علي
قسوة الحجارة لم تكن دونها وهذا المعني احسن والطف
وارق من قول من جعل او في هذا الموضع بمعني بل

ومن

ومن قول من جعلها للشك بالنسبة للرائي ومن قول
من جعلها بمعني الواو فتامل وادنى افعل تفضيل
والمفضل عليه محذوف اي او ادنى من قاب قوسين
اي اقرب والمعنى فيما تقدرون انتم والله تعالى عالم
بالاشيا علي ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا
علي ما جرت عادة المخاطبة فيما بيننا اذا قدرنا الشي
نقول هذا قدر رمحين او انقص **فان قلت** اذا كان
القرب المذكور بين جبريل وبين النبي صلي الله عليه
وسلم كما ذهب اليه الجمهور فاي فايدة في ذلك وقد
علمنا ان جبريل كان ياتي الى النبي صلي الله عليه وسلم
وفي بعض المرات قد اسند ركبتيه الي ركبتيه وهو
اقرب من قدر قوسين او قوس واحد وان اريد
قرب المكانة منه فمذهب اهل السنة ان النبي صلي
الله عليه وسلم افضل من جبريل فكيف يذكر في
سياق تشريفه ذكر مكانته منه **قلت** قالوا ان جبريل
مع عظم اجرايه وكثرتها حتى سد الافق بجناحيه
دنى من النبي صلي الله عليه وسلم غير تلك الصورة
حتى قرب منه بعد ما راه علي الصورة الاولى وفي
ذلك بيان قدرة الله سبحانه وتعالى ومعنى الاية
ذلك والله اعلم بمراده اما اذا كان القرب فيما بين
النبي صلي الله عليه وسلم وبين الله كما ذكر في حل الاية

على الكناية ففيه فايدة عظيمة وبيان لشرف النبي
صلى الله عليه وسلم واختصاصه **وقد سيل** ابو العباس
بن عطا عن هذه الاية فقال كيف اصف لك مقاما انقطع
عنه جبريل وميكاييل واسرافيل ولم يكن الا محمد وربه
عز وجل قوله تعالى **فاوحي الي عبده ما اوحي** الضمير
في اوحي الاول لجبريل علي نسق اضمار قبل الذكر لانه لم
يتقدم ذكر الله لكنه معلوم كقوله تعالى ما ترك
علي ظهرها اي الارض من دابة فانه لم يجر ذكر الارض
لكنه معلوم والضمير في اوحي الثاني يجوز ان يكون
لجبريل كما هو الموافق للنسق اي اوحي جبريل لعبد الله
محمد ما اوحي جبريل ففيه تفخيم وتعظيم للوحي ويجوز
ان يكون لله اي اوحي جبريل لعبد الله محمد ما اوحي الله
اليه ويجوز ان يكون الضمير في اوحي الاول لله والمراد
بعبده هو محمد صلى الله عليه وسلم اي اوحي الله الي عبده
محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل
عليه الصلاة والسلام اي اوحي الله الي عبده جبريل
والضمير في اوحي الثاني يجوز ان يكون لله اي اوحي الله
الي عبده محمد ما اوحي الله اليه ففيه تفخيم وتعظيم ايضا
للوحي ويجوز ان يكون لجبريل اي اوحي الله لعبده
ما اوحي ~~والضمير في اوحي الثاني لله فالمعني~~ جبريل
اليه فيكون ايحا الله اليه بواسطة جبريل وعلي ان المراد

بعبده

بعبده جبريل والضمير في اوحي الثاني لله فالمعني
اوحي الله لعبده جبريل ما اوحي الله عليه ففيه
تفخيم ايضا وعلي ان المراد بعبده جبريل والضمير
في اوحي الثاني له فالمعني فاوحي الله لعبده جبريل
ما اوحي جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم او ما اوحي
جبريل الي كل رسول لانه امين الله علي وحيه وما
في ما اوحي يحتمل ان تكون مصدرية اعني المراد
بها المصدر فيكون المعني تفخيم الوحي الذي اوحاه
ويحتمل ان تكون موصولة اي الذي اوحاه اليه
من الاحكام وغيرها **وقد اختلف** في المراد بما
اوحي علي وجوه فقيل الصلاة وقيل ان احدا
من الانبيا لا يدخل الجنة قبلك ولا تدخل امة قبل
امتك وقيل ان ما للعموم والمراد كل ما جا به جبريل
وسيل ابو الحسن النوري عنه فقال اوحي اليه
سرا بسر من سر وفي ذلك يقول القايل
بين المحبين سر ليس يفشيه ۞ قول ولا قلم
للخلق يحكيه ۞ سر يمازجه انس يقابله ۞ نور يخبر في
بحر من التيه ۞ قوله تعالى **ما كذب الفواد ما راي**
اخبر تعالى عن تصديق فواده لما راته عيناه بهذه
الاية وقرا الجمهور بتخفيف الذال من كذب وهو
متعد وما راي مفعول له وما موصولة والعايد

محذوف اي الذي راه وفاعل راي ضمير يعود على
النبي صلى الله عليه وسلم والفواد هو القلب والمراد
فواد محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ماكذب قلب محمد
صلى الله عليه وسلم ماراه محمد صلى الله عليه وسلم
بعينه وان القلب صدق العين وليس كمن راي شيا
على خلاف ما هو به فكذب فواده بصره وقرا هشام
وابو جعفر بتشديد الذال من كذب اي ماكذب
الفواد ماراه البصر ولم يقل ان ماراه البصر خيال
لاحقيقة له بل صدقه على ماراه وهذا بنا على ان الراي
البصر واما على القول بان الراي الفواد فالمعنى ماكذب
الفواد ماراه الفواد اي لم يقل انه جن او شيطان
بل تيقن ان ماراه بفواده صدق صحيح وال في الفواد
قال الرازي لتعريف ما علم حاله لسبق ذكر محمد صلى
الله عليه وسلم في قوله ماضل صاحبكم وفي قوله فاوحي
الي عبده وغير ذلك وقيل ال للجنس اي جنس الفواد
ويكون المعنى ماكذب الفواد ماراي محمد صلى الله
عليه وسلم اي القلوب تشهد بصحة ماراه محمد صلى الله
عليه وسلم واختلفوا في المري ما هو فقيل جبريل
راه وله ستماية جناح كما ثبت عن ابن مسعود في
الصحيح في تفسير هذه الاية وفي رواية عنه راي
جبريل عليه حلتا رفرف اخضر قد ملا ما بين السما والارض

كما رواه الفريابي والترمذي وصححاه وقيل المري
الايات العجيبة وقيل المري هو الله سبحانه وتعالى
وهو قول ابن عباس وانس وابي امامة وغيرهم
من الصحابة والتابعين ثم منهم من يقول راه بعينه
وهو المشهور عن ابن عباس ومنهم من يقول راه
بقلبه وهو مروي عن ابن عباس ايضا وعن غيره
وسياتي الكلام على روية الله تعالى وما قيل فيها في
الوجه التاسع والعشرين من فوايد القصة قوله
تعالى افتمارونه على مايرى انكر الله تعالى عليهم
مكابرتهم وجحدهم له على مايراه كما تنكر على الجاهل
مكابرته العالم ومماراته له على ما علمه فقال مبتدا بهمزة
الاستفهام الانكاري افتمارونه اي افتجادلونه من
المرا وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مريت
الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر وعبر بالمفاعلة
في هذه القراة اشارة الي اجتهادهم في تشكيكه لان
كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه اي يستخرجه
من مري الشي اذا استخرجه ومريت الفرس
اذا استخرجت ما عنده من الجري بسوط او غيره
وكان من حقه ان يتعدي بفي كقولك جادلته
في كذا وانما ضمن معنى الغلبة فعدي تعديتها بعلى
وقرا حمزة والكساي وخلف ويعقوب افتمرونه

بفتح التا وسكون الميم من غير الف بعدها اي افتجحدونه
من مراه حقه اذا جحده واختار هذه القراة ابو
عبيدة لان المشركين كان شانهم الجحد وهو اكثر من
المماراة واختار غيره القراة الاولي لان الجحود كان
منهم في هذا وفي غيره والذي اختص به الاسرا
المجادلة لانهم قالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا
عن عيرنا التي في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به
وايضا فقد يجحد الشي من لا يجادل فيه ووضعه
الجدال ان لا يكون الا من جاحد وان اتفق من غير
جاحد فهو متصور بصورة الجاحد فكان الجدال
اخص من الجحود **وقال** الزمخشري وتبعه البيضاوي
معني افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته
قال السبكي وهو معني جيد وورود مريت بمعني
جحدت في كلام العرب لا بد فيه من ثبوت المعنيين
لغة والتعدية بعلي علي معني الغلبة واضح واما علي
معني الجحد فلتضمنه معني الغلبة فان المتمادي
والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم وقال علي
ما يري بصيغة المضارع والروية قد مضت فاما
ان يكون وضع المضارع موضع الماضي كقوله تعالي
واتبعوا ما تتلوا الشياطين في احد تاويليه ومذهب
سيبويه جواز وضع المضارع موضع الماضي واما

للاشارة

للاشارة الي انه ما ينبغي كانه لم يزل ولم يتلبس الامر
عليه فالروية وان مضت فهي عتيدة عنده لتحققه
بها وتيقنه اياها فكانه الان ينظر والمماراة في الشي
الحاضر المعاين افحش واشد جهلا قوله تعالي
ولقد راه نزلة اخري اخبر تعالي عن رويته
لجبريل مرة بعد مرة بعد اخري فالمرة الاولي
كانت دون السما بالافق الاعلي والثانية هذه
كانت فوق السما عند سدرة المنتهي **قال** الحافظ
ابن كثير هذه هي المرة الثانية التي راي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فيها جبريل علي صورته التي
خلقه الله تعالي عليها وكانت ليلة الاسرا **وقد
روي** الامام احمد بسند حسن كما قال الحافظ
المذكور عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالي
عنه قال راي رسول الله صلي الله عليه وسلم
جبريل علي سدرة المنتهي له ستماية جناح كل جناح
منها قد سد الافق يسقط من اجنحته التهاويل
من الدر والياقوت والله به عليم واصل الحديث
رواه مسلم انتهي واما المرة الاولي فكانت بحراء
اوايل البعثة كما تقدم والواو في ولقد عاطفه
وجوز بعضهم ان تكون للحال ورد بان اللام تنافي
ذلك لانه جواب القسم والقسم لا يكون حالا لان

الحال خبر والقسم انشا والضمير المرفوع المستتر في راه
للنبي صلي الله عليه وسلم واما البارز المنصوب ففيه
خلاف حسب ما تقدم فقال بن مسعود وعايشة
ومجاهد هو عايد علي جبريل وقال بن عباس وكعب
الاحبار هو عايد علي الله تعالي وقوله **نزلة اخري**
اي مرة اخري فعلة من النزول اقيمت مقام المرة
ونصبت نصبها علي الظرف اشعارا بان الروية في
هذه المرة كانت ايضا بنزولها ودنو وحيث كان الضمير
عايد الي الله تعالي فالكلام في الدنو ما سبق من انه علي
سبيل المجاز والمراد القرب المعنوي من الله تعالي مع
تنزيهه تعالي عن الجهات ولا يمتنع ذلك ان تتكرر رويته
له في تلك الليلة **وقيل** ان نزلة منصوبة نصب
المصدر الواقع موقع الحال والتقدير ولقد راه
نازلا نزلة اخري والي هذا ذهب الحوفي وابن عطية
والاول اقتصر عليه الزمخشري وصدر به القاضي وحكي
الثاني بقيل وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين
وهذا يعني الاول ليس بمذهب البصريين وانما هو
مذهب الفرا ونقله عنه مكي **وقيل** ان نزلة منصوبة
علي المصدر المؤكد وقدراه ابو البقا مرة اخري او
روية اخري **قال** الشهاب الحلبي المذكور في تاويله
نزلة بروية نظر وقوله اخري يدل علي سبق روية قبلها

سمع

وقد

وقد تقدم ما يدل علي ذلك والمراد بالاتيان في هذه
الاية وهي ولقد راه بالفعل المصدر باللام القسمية
وكلمة قد المفيدة للتحقيق ففي الريبة عن المرة الاخري
وقوله تعالي **عند سدرة المنتهي** عند ظرف
مكان لراه وظرف الفعل قد يكون فيه الفاعل او
المفعول او كلاهما ولا اشكال فيه هاهنا النبي صلي الله
عليه وسلم وعند من يقول المرئي هو جبريل يصح ان يكون
ظرفا له اولهما معا والسدرة شجرة النبق راها النبي
صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا وراي عندها جبريل في
صورته الاصلية وهي في السما السابعة كما في حديث
انس ووقع في حديث بن مسعود انها في السادسة
وحديث انس هو قول الاكثر وهو الذي يقتضيه وصفها
بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب
وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله او من اعلمه ويترجح
حديث انس بانه مرفوع وحديث بن مسعود موقوف
وقد جمع بينهما بان اصلها في السادسة واغصانها
وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها الا اصل
ساقها **قال** مقاتل وهي عن يمين العرش الخليل قد
اظلت السموات والجنة **قال** بعضهم وهو طوبي التي
ذكرها الله في سورة الرعد وهي شجرة يسير الراكب
في ظلها ماية عام وفي الكشاف وهي في رواية

الفضة سبعين عاما لا يقطعها ويستظل في الفنن منها
ماية الف راكب وورقها كاذان الفيلة ونبقها كقلال
هجر يخرج من اصلها اربعة انهار نهران ظاهران النيل
والفرات ونهران باطنان في الجنة فيها فراش من ذهب
لو وصفت ورقة منها في الارض لاضات لاهل الارض وانما
قيل لها سدرة المنتهي لان علم الملايكة ينتهي عندها
لا يتجاوزها احد الا رسول الله صلي الله عليه وسلم **وقيل**
لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها
من امر الله تعالي لا يعدوها وقيل لانه ينتهي اليها
علم الخلايق وعلم كل عالم لا يعلم ما وراها صعدا الا الله
تعالي **وقيل** لانه ينتهي اليها من مات علي سنة النبي
صلي الله عليه وسلم وهم المومنون حقا **وقيل** غير
ذلك والمنتهي اسم مكان بمعني موضع الانتها او مصدر
ميمي بمعني الانتهى كانها في منتهى الجنة واخرها واضافة
السدرة الي المنتهي اما من اضافة الشي الي مكانه
كقولك اشجار بلد كذا فالمنتهي حينيذ موضع لا يتعداه
ملك ولا روح من الارواح او من اضافة المحل الي
الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلي هذا فالتقدير
سدرة عندها او فيها منتهى العلوم او المراد بالمنتهي
هو الله تعالي وحينيذ يكون التقدير المنتهى اليه
قال الله تعالي وان الي ربك المنتهي فاضافة السدرة

22

33

الي المنتهي من اضافة الملك الي مالكه فالاضافة اليه
كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وسياتي في
الوجه الخامس والعشرين من فوايد القصة الكلام
علي السدرة ايضا وعلي ما يتعلق بها قوله تعالي
عندها جنة الماوي اي عند سدرة المنتهي
جنة الماوي وهذه الجملة تحتمل الحال والاستيناف
والحال اظهر كما قاله السبكي وهو تعريف لموضع جنة
الماوي وانها عند سدرة المنتهي وهي عن يمين
العرش كما تقدم وقال بن عباس واكثر المفسرين جنة
الماوي التي تاوي اليها ارواح الشهدا **وقيل** اوي
اليها ادم عليه الصلاة والسلام الي ان اخرج منها وقيل
ان جبريل وميكايل عليهما الصلاة والسلام ياوان اليها
وقيل ان ارواح المومنين كلهم في جنة الماوي وهي
تحت العرش فيتنعمون بنعيمها وقالت عايشة وزر
بن حبيش جنة من الجنان وما اليها من عطية والجنان
كلها تاوي اليها المتقون اراد الله ان يعظم مكان
سدرة المنتهى بان جعل الجنة عندها وفي ذلك
تعظيم لمكانها وتشريف له وقرا علي بن ابي طالب
وابو الدردا وجماعة من الصحابة والتابعين جنه
الماوي بالها فعلا ماضيا والهاء ضمير المفعول يعود
للنبي صلي الله عليه وسلم والماوي فاعل اي ضمه وستره

ابوا الله وجيل صنعه وقد انكرت عايشة رضي
الله تعالى عنها وجماعة معها هذه القراة وقالوا اجرم
الله من قراها واذا ثبتت قراة عن هولا فلا سبيل الى
ردها ولكن المستعمل انما هو اجنة رباعيا فان استعمل
ثلاثيا يتعدى بعلى كقوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال ابن القيم لما ذكر الله تعالى روية محمد
لجبريل صلى الله عليهما وسلم عند سدرة المنتهى استطرد
منها وذكر ان جنة الماوى عندها وانها يغشاها من امره
وخلقه ما يغشى وهذا من احسن الاستطراد وهو اسلوب
لطيف جدا في القران واذ ظرف زمان لراه نزلة اخرى
ويغشى السدرة اي يسترها ومنه الغواشي او من معنى
الاتيان يقال فلان يغشاني كل وقت اي ياتيني بما يغشى
وفي التعبير بما تعظيم وتكثير لما يغشاها وقد علم بهذه
العبارة ان ما يغشاها من الدال على عظمة الله وجلاله
ما لا يكتنهه النعت ولا يحيط به الوصف وقد جا بيانه
في حديث مسلم وغيره كما رواه بن مسعود وابن
عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت
السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة
ملكا يسبح الله تعالى وقيل ملايكة يغشونها كانهم طيور
يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زايرين كما يزور
الناس الكعبة واخرج عبد بن حميد عن سلمة بن الاكوع

بن وهرام اذ يغشى السدرة ما يغشى قال استاذنت
الملايكة الرب تبارك وتعالى ان ينظروا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وروي مرفوعا غشيها نور من الله
عز وجل حتى ما يستطيع احد ان ينظر اليها وقيل لما
غشيها ما غشيها تحولت ياقوتا وزمردا وفي الحديث
مرفوعا يغشاها الوان لا ادري ما هي وقيل غير ذلك
ولا يقال ان هذا تكلف لان الله ابهم ما غشاها لان
ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لا كلام فيه وما
ثبت عن الصحابة يكون توقيفا لان مثله لا يقال بالراي
وانما اختيرت السدرة لهذا الامر دون ساير الاشجار
تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورايحة
زكية فشابهت الايمان الذي جمع قولا وعملا ونية
فظلها كالعمل وطعمها كالنية ورايحتها كالقول واما ما جا
من الاحاديث في النهي عن قطع السدرة من قوله
صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود وغيره من
قطع سدرة صوب الله راسه في النار فمحمول على
سدر الحرم كما زاده الطبراني في روايته في قوله
يعني من سدر الحرم او على من قطعه من فلاة
يستظل به ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق
يكون له فيه على ما قاله ابو داود وقد روي البيهقي
ان ابا ثور سال الشافعي رضي الله تعالى عنه عن قطع

السدر فقال لا باس به وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اغسلنها بماء وسدر وقد احتج المدني بما احتج
به الشافعي من اجازة النبي صلى الله عليه وسلم ان
يغسل الميت بالسدر ولو كان حراما لم يجز الانتفاع به
والورق من السدر كالغصن وقد سوى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين
ورقه وغيره فلما لم يمنع من ورق السدر دل على جواز
قطع السدر قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وصف
الله تعالى وتقدس في هذه الاية ادب النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك المقام وثبوته ونفى عنه ما يعرض
للرائي الذي لا ادب له بين يدي العظما اذا ورد على
مقام يدهش فيه من التفاته يمينا وشمالا ويجاوز
بصره الى ما بين يديه بقوله ما زاغ البصر اي ما مال
والزيغ الميل بالبصر اي بصر النبي صلى الله عليه وسلم
وما طغى اي بصره اي ما جاوز واشتد امامه الى حيث
ينتهي قال ابن عباس ما زاغ البصر يمينا ولا شمالا ولا
جاوز ما امر به وكان معنى الاية وصف الادب
النبي صلى الله عليه وسلم فهي متضمنة ايضا لوصف قوة
نظره وتيقن قلبه لتحقق الامر ونفي وجوه الريب
عنه فلم يلتفت جانبا يمينا ولا شمالا ولا قصر عن كشف
الامر وحقيقته ولا جاوزه ولا مد بصره الى شي غير

المقصود

المقصود مما راه من الايات واستقبله من العجايب
واثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا وذلك غاية
القوة والادب او ما عدل عن روية العجايب التي
امر بروئيتها وسكن منها وما جاوز ما امر بروئيته
بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه
واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون
تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش
وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وقد
نزه الله تعالى في هذه السورة علمه عن الضلال وقصده
وعلمه عن الغي ونطقه عن الهوى وفواده عن
تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان وهكذا
يكون المدح هكذا هكذا والا فلا قوله تعالى لقد
راى من ايات ربه الكبرى قد اكد تعالى ما ذكره في
هذه الاية بالقسم فقال لقد راى اي والله لقد
راى اي ابصر من ايات ربه وعجايبه الملكية
والملكوتية ليلة المعراج او من ايات ربه الكبرى
الدالة على قدرته وعظمته والايات جمع اية
وهي العلامة ووصفها بالكبرى لتميزها عن
غيرها ولبيان نوعها وايات الله لا تحصى او لعظم
الايات الكبرى فلا يحاط بها والشي اذا لم يحط به
فلا يدرك تعيينه فالكبرى يجوز ان تكون مفعول

راي ومن ايات ربه حال مقدمة علي ذيها وكلمة
من للبيان لانه المناسب لمرام المقام والتقدير
لقد راي الايات الكبري من ايات ربه قال الشهاب
الحلبي وهذا هو الظاهر ويجوز ان تكون الكبري علي
اعراب كونها مفعولا نعتا لمفرد والتقدير لقد
راي من ايات ربه الاية التي هي كبراها وعظماها
بجعل الاسرا وما فيه من العجايب كالشي الواحد
ويجوز ان تكون الكبري علي اعراب كونها مفعولا نعتا
لايات ربه وهذا الجمع يجوز وصفه بوصف المؤنثة
الواحدة وحسنه هنا كونها فاصلة لتوافق الفواصل
ومن ايات ربه مفعول راي ومن للتبعيض والتقدير
لقد راي بعض ايات ربه الكبري ويجوز علي كون
كبري نعتا للايات ان يكون المفعول لراي محذوفا
والتقدير لقد راي شيا عظيما من ايات ربه الكبري
ومشي علي ذلك البيضاوي وايد بعضهم بان المقام
يقتضي التعظيم وفيما ذكر تعظيم للمري واختلفوا
في تعيين ما راه من تلك الاية الكبري فقيل جبريل
في صورته قال الامام والظاهر ان هذه الايات
غير تلك لان جبريل وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار
ان لله ملايكة اعظم منه والكبري تانيث الاكبر فكانه
تعالي قال لقد راي من ايات ربه ايات هي اكبر

الايات وقيل المري السدرة وقيل ما راه حين رقي
به الي السموات وما فوقها من عجايب الملكوت
وغير ذلك واما قول القرطبي وقيل هو ما راه تلك
الليلة في مسراه في عوده وبديه وهذا احسن
فانما يناسب قوله في اية الاسرا لنريه من اياتنا
قال الامام ما ملخصه هذه الاية تدل علي ان النبي
صلي الله عليه وسلم لم ير الله تعالي ليلة المعراج وانما
راي ايات الله تعالي وفيه خلاف ووجه الدلالة
انه تعالي ختم قصة المعراج هاهنا برويه الايات
وقال في اواخر قصة الاسرا لنريه من اياتنا ولو
كان راي ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن فكانت الاية
للروية وكان اكبر شي هو الروية وقال ابن كثير وبها
تبين الايتين استدل من ذهب من اهل السنة
الي ان الروية في تلك الليلة لم تقع لانه قال لقد
راي من ايات ربه الكبري ولو كان راي ربه لاخبر
بذلك ولقال ذلك للناس انتهي قلت لا دلالة
في عدم ذكر الروية في الايتين علي عدم وقوعها
لاحتمال انها وقعت وكتمت خوفا من الانكار
ومن توهم معارضتها للدلايل الدالة علي عدم
وقوعها في هذه الدار ويحتمل دخولها فيما راه من
الايات الكبري بل هي اكبرها او دل عليه قوله سبحانه

وتعالى ماكذب الفواد ما راي ولقد راه نزلة اخري
كما نقل عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان
يثبت الروية ليلة الاسراي وليستشهد بذلك
وتابعه جماعة من السلف والخلف رضي الله عنهم وقد
خالفه جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى
عنهم اجمعين **وحيث** انتهي الكلام علي ذكر بعض فوايد
هذه الايات الشريفة فلنسق القصة علي نسق واحد
وان كانت ماخوذة من احاديث متعددة ليكون ابهج
للسامعين وانعش لقلوب الموقنين ونتكلم علي بعض
فوايدها ان شا الله تعالى **فنقول** بينما النبي صلي الله
عليه وسلم عند البيت في الحجر مضطجعا بين رجلين
اذاتاه جبريل وميكاييل ومعهما ملك اخر فاحتملوه
حتي جاوابه زمزم فاستلقوه علي ظهره فتولاه منهم
جبريل وفي رواية فرج سقف بيتي فنزل جبريل فشق
من نغرة نحره الي اسفل بطنه ثم قال جبريل لميكايل
ايتني بطست من ما زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره
فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع ماكان فيه
من اذي واختلف اليه ميكايل بثلاث طسات
من ما زمزم ثم اتي بطست من ذهب مملوء حكمة
وايمانا فافرغه في صدره وملاه حلما وعلما ويقينا
واسلاما ثم اطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة

ثم

ثم اوتي بالبراق مسرجا ملجما وهو دابة ابيض طويل
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه
مضطرب الاذنين اذا اتي علي جبل ارتفعت رجلاه
واذا هبط ارتفعت يداه له جناحان في الحذيه يحفز بهما
رجليه فاستصعب عليه فوضع جبريل يده علي
معرفته ثم قال الا تستحي يا براق فوالله ماركبك
خلق اكرم علي الله منه فاستحي حتي ارفض عرقا وقر
حتي ركبه وكانت الانبيا تركبه قبله وقال سعيد
بن المسيب وغيره وهي دابة ابراهيم التي كان يركب
عليها للبيت الحرام فانطلق به جبريل وهو عن يمينه
وميكايل عن يساره وعند بن سعيد وكان الاخذ
بركابه جبريل وبزمام البراق ميكايل فساروا حتي
بلغوا ارضا ذات نخل فقال جبريل انزل فصل هنا
نفعل ثم ركب فقال له جبريل اتدري اين صليت
قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة فانطلق
البراق يهوي به يضع حافره حيث ادرك طرفه فقال
له جبريل انزل فصل نفعل ثم ركب فقال له جبريل
اتدري اين صليت قال لا قال صليت بمدين عند
شجرة موسي ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال
انزل فصل نفعل ثم ركب فقال اتدري اين صليت
قال لا قال صليت بطور سينا حيث كلم الله موسي الكليم

ارتفعت صح

ثم بلغ ارضا بدت له قصور فقال له جبريل انزل فصل
ففعل ثم ركب وانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل
اتدري اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد
عيسي وبينما هو يسير علي البراق اذ راي عفريتا من
الجن يطلبه بشعلة نار كلما التفت راه فقال له جبريل
الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت شعلته وخر
لفيه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بلي فقال جبريل
قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما ومن
شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر
ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل
والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فانكب لفيه
وانطفت شعلته فسار حتي اتي علي قوم يزرعون في
يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان
فقال يا جبريل ما هذا قال هولا المجاهدون في سبيل
الله تضاعف لهم الحسنة بسبعماية ضعف وما انفقوا
من شي فهو يخلفه ووجد ريحا طيبة فقال يا جبريل
ما هذه الرايحة قال هذه رايحة ماشطة بنت فرعون
واولادها بينما هي تمشط بنت فرعون اذ سقط
المشط فقالت بسم الله تعس فرعون فقالت ابنته
اولك رب غير ابي قالت نعم قالت افاخبر بذلك ابي

قالت

٢٨

38

قالت نعم فاخبرته فدعا بها فقال الك رب غيري قالت
نعم ربي وربك الله وكان للمراة ابنان وزوج فارسل
اليهم فراود المراة وزوجها ان يرجعا عن دينهما فابيا
فقال اني قاتلكما قالت احسانا منك الينا ان قتلتنا ان
تجعلنا في بيت فتدفننا جميعا قال ذلك لك بما لك علينا من
الحق فامر ببقرة من نحاس فاحميت ثم امر بها لتلقي فيها
هي واولادها فالقوا واحدا واحدا حتي بلغوا اصغر
رضيع فيهم فقال يا امه قعي ولا تقاعسي فانك علي
الحق فالقيت هي واولادها قال وتكلم اربعة وهم صغار
هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسي بن مريم
واتي علي قوم ترضخ روسهم كلما رضخت عادت كما كانت
ولا يفتر عنهم من ذلك شي فقال يا جبريل من هولا قال
هولا الذين تتثاقل روسهم عن الصلاة المكتوبة ثم اتي
علي قوم علي اقبالهم رقاع وعلي ادبارهم رقاع يسرحون
كما يسرح الابل والغنم وياكلون الضريع والزقوم ورضف
جهنم وحجارتها فقال من هولا يا جبريل قال هولا
الذين لا يودون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله
شيا ثم اتي علي قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدر ولحم
اخر نيء خبيث فجعلوا ياكلون النيء الخبيث ويدعون
النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا
الرجل من امتك تكون عنده المراة الحلال الطيب

فياتي امراة خبيثه فيبيت عندها حتي يصبح والمراة
تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا
فتبيت معه حتي تصبح ثم اتي علي خشبة علي الطريق
لا يمر بها ثوب ولا شي الا خرقته فقال ما هذا يا
يا جبريل قال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون
وراي رجلا يسبح في نهر من دم يلتقم الحجارة فقال
من هذا فقيل اكل الربا ثم اتي علي رجل قد جمع حزمة
حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا
يا جبريل قال هذا الرجل من امتك تكون عنده
امانات الناس علي اداها ويريد ان يتحمل عليها
واتي قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من
حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم فقال من
هولا يا جبريل قال هو خطبا الفتنة خطبا امتك
يقولون ما لا يفعلون ومر بقوم لهم اظفار من
نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من
هولا يا جبريل قال هولا الذين ياكلون لحوم الناس
ويقعون في اعراضهم واتي علي حجر صغير يخرج
منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من
حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا الرجل الذي يتكلم بالكلمة العظيمة ثم
يندم عليها فلا يستطيع ان يردها وبينما هو

يسير

يسير اذ دعاه داع عن شماله يا محمد انظرني اسيلك
فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي
اليهود اما انك لو اجبته لتهودت امتك وبينما هو
اذ دعا عن شماله يا محمد انظرني اسيلك فلم يجبه
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي النصاري
اما انك لو اجبته لتنصرت امتك وبينما هو يسير
اذا بامراة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل
زينة خلقها الله تعالي فقالت يا محمد انظرني
اسيلك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل
قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها لاختارت امتك
الدنيا علي الاخرة وبينما هو يسير فاذا هو بشيخ
يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد
فقال جبريل بل سر يا محمد فقال من هذا قال
هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه وسار
فاذا هو بعجوز علي جانب الطريق فقالت يا محمد
انظرني اسيلك فلم يلتفت اليها فقال من هذا
يا جبريل قال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقي من
عمر العجوز وسار حتي اتي مدينة بيت المقدس
ودخلها من بابها اليماني ثم نزل عن البراق وربطه
بباب المسجد بالحلقة التي طربطه بها الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وفي رواية ان جبريل اتي الصخرة

فوضع اصبعه فيها فخرقها وشد بها البراق ودخل
المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر ثم صلي هو
وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث الا يسيرا حتي
اجتمع ناس كثير فعرف النبيين من بين قايم به
وراكع وساجد ثم اذن موذن واقيمت الصلاة
فقاموا صفوفا ينتظرون من يومهم فاخذ جبريل
بيده فقدمه فصلي بهم ركعتين وعن كعب فاذن
جبريل ونزلت الملايكة من السما وحشر الله له المرسلين
فصلي النبي صلي الله عليه وسلم بالملايكة والمرسلين
فلما انصرف قال جبريل يا محمد اتدري من صلي
خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالي ثم اثني
كل نبي من الانبيا علي ربه بثنا جميل فقال النبي
صلي الله عليه وسلم كلكم اثني علي ربه وانا مثن
علي ربي ثم شرع يقول الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه
تبيان كل شي وجعل امتي خير امة اخرجت
للناس وجعل امتي وسطا وجعل امتي هم الاولون
والاخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا خاتما فقال
ابراهيم صلي الله عليه وسلم بهذا فضلكم محمد صلي الله
عليه وسلم والنبي صلي الله عليه وسلم من العطش

اشد

اشد ما اخذه فجاءه جبريل صلي الله عليه وسلم باناين
خمر واناء من لبن فاختار اللبن فقال له جبريل اخترت
الفطرة ولو شربت الخمر لغوت امتك ولم يتبعك
منهم الا القليل وفي رواية ان الانية كانت ثلاثة
والثالث فيه ما وان جبريل قال له لو شربت الما
لغرقت امتك وفي رواية ان احد الانية التي
عرضت عليه كان فيه عسل بدل الما وانه راي عن
يسار الصخرة الحور العين وسلم عليهن فرددن
عليه وسالهن فاجبنه بما تقربه الاعين ثم اوتي
بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم تر
الخلايق احسن منه له مرقاة من فضة ومرقاة
من ذهب وهو من جنة الفردوس منضد باللولو
عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة فصعد هو
وجبريل حتي انتها الي باب من ابواب سما الدنيا
يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل
صاحب سما الدنيا يسكن الهوي لم يصعد الي السما
قط ولم يهبط الي الارض الا يوم مات النبي صلي الله
عليه وسلم وبين يديه سبعون الف ملك كل ملك جنده
مايه الف فاستفتح جبريل باب السما قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل
اليه وفي رواية بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا

حياه الله من ابم ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
ونعم المجي جاء ففتح لهما فلما خلصا فاذا فيها ادم هو
كهيئة يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح
الانبيا وذريته المومنين فيقول روح طيبة ونفس
طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح
ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة
اجعلوها في سجين وعن يمينه اسودة وباب يخرج
منه ريح طيبة وعن شماله اسودة وباب يخرج منه
ريح خبيثة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر
واذا نظر قبل شماله حزن وبكي فسلم عليه النبي صلي
الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلي الله عليه
وسلم يا جبريل من هذا قال هذا ابوك ادم وهذه
الاسودة نسم تنبيه فاهل اليمين هم اهل
الجنة واهل الشمال هم اهل النار فاذا نظر عن يمينه
ضحك واذا نظر عن شماله بكي وهذا الباب الذي
عن يمينه باب الجنة فاذا نظر من يدخله من
ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله
باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته بكي وحزن
ثم مضي هنيهة فوجد اكل الربا واموال اليتامي
والزناة وغيرهم علي حالة شنيعة بنحو ما تقدم واشنع

ثم صعد

41

ثم صعد الي السما الثانية فاستفتح جبريل قيل من هو
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجي جا ففتح لهما فلما خلصا اذا هو بابني الخالة هو
عيسي بن مريم ويحيي بن زكريا شبيه احدهما
بصاحبه بثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما
واذا عيسي جعد مربوع الي الحمرة والبياض سبط الراس
كانما خرج من ديماس اي حمام شبهه بعروة بن مسعود
الثقفي فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قالا مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعيا له بخير ثم صعد
الي السما الثالثة فاستفتح جبريل قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بيوسف ومعه
نفر من قومه فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير واذا
هو قد اعطي شطر الحسن وفي رواية احسن ما خلق
الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر علي
ساير الكواكب قال من هذا يا جبريل قال هذا اخوك

2 نخ شبيه

يوسف ثم صعد الي السما الرابعة فاستفتح جبريل
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قيل او قد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من
اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا
ففتح لهما فلما خلصا فاذا هو بادريس قد رفعه الله
مكانا عليا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير ثم صعد
الي السما الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله من اخ ومن
خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي جا ففتح
لهما فلما خلصا فاذا هو بهرون ونصف لحيته بيضا
ونصف لحيته سودا تكاد تضرب الي سرته من طولها
وحوله قوم من بني اسرايل وهو يقص عليهم فسلم
عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم دعا له بخير فقال يا جبريل من
هذا الرجل المحبب في قومه هارون بن عمران ثم
صعد الي السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجي

جا ففتح لهما فجعل يمر بالنبي صلي الله عليه وسلم من
والنبيين معهم الرهط والنبي والنبيين معهم القوم
والنبي والنبيين ليس معهم احد ثم مر بسواد عظيم
قيل من هذا قيل موسي وقومه ولكن ارفع راسك
فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب
ومن ذا الجانب فقال له هولا امتك وسوي هولاء
سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فلما خلصا
فاذا هو بموسي بن عمران رجلا ادم طوال كانه من
رجال شنوة كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ
الشعر دونهما فسلم عليه النبي صلي الله عليه وسلم
فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم دعا له بخير وقال يزعم الناس اني اكرم
علي الله من هذا بل هو اكرم علي الله مني فلما
جاوزه النبي صلي الله عليه وسلم بكي فقيل له ما يبكيك
فقال ابكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة
من امته اكثر ممن يدخل الجنة من امتي يزعم
بنو اسرايل اني اكرم بني ادم علي الله وهذا رجل
من بني ادم خلفني في دنيا وانا في اخري فلو
انه في نفسه لم ابال ولكن معه امته ثم صعدا
الي السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل

اوقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به واهلا حياه الله
من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم
المجي جا ففتح لهما فلما خلصا فاذا النبي صلي الله عليه
وسلم بابراهيم الخليل صلي الله عليه وسلم جالس عند
باب الجنة علي كرسي مسند ظهره الي البيت المعمور
ومعه نفر من قومه فسلم علي النبي صلي الله عليه وسلم
فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح وقال مر امتك ان يكثروا من غراس الجنة
فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال وما غراس
الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية اقرا
امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة
عذبة الما وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وعنده قوم جلوس بيض الوجوه
امثال القراطيس وقوم في الوانهم شي فقام هولا
الذين في الوانهم شي فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه
فخرجوا وقد خلص الوانهم فصارت مثل الوان
اصحابهم فجاوا فجلسوا الي اصحابهم فقال يا جبريل
من هولا البيض الوجوه ومن هولا الذين في الوانهم
شي وما هذه الانهار التي دخلوها فقال اما هو
هولا البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم
واما هولا الذين في الوانهم شي خلطوا عملا صالحا

واخر سيا فتابوا فتاب الله عليهم واما هذه الانهار
فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقاهم
ربهم شرابا طهورا وقيل له هذا مكانك ومكان
امتك واذا هو بامته شطرين شطر عليهم ثياب
كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد فدخل
البيت المعمور ودخل معه الذين عليهم الثياب
البيض وحجب الاخرون الذين عليهم الثياب
الرمد وهم علي خير فصلي ومن معه من المومنين
في البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه الي يوم القيمه وانه
بحذا الكعبة لو خر لخر عليها اخر ما عليهم ثم
خرج ومن معه وفي روايه هذه الفطرة التي
انت عليها وامتك ثم رفع الي سدرة المنتهي
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط من فوق فيقبض منها
واذا هي شجرة يخرج من اصلها انهار من ماء
غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفي
يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها
واذا نبقها مثل قلال هجر واذا اورقها كاذان
الفيلة تكاد الورقة تغطي هذه الامة وفي

انه عرض عليه الانيه
الثلاثة المتقدمة فصوب
فاخذ اللبن
جبريل فعله كما
تقدم وقال صح

رواية الورقة منها تظل الخلق علي كل ورقة ملك فغشيها
الوان لا يدري ما هي فلما غشيها من امر الله ما غشيها
تغيرت وفي رواية تحولت ياقوتا وزبرجدا فما
يستطيع احد ان ينعتها من حسنها فيها فراش من
ذهب واذا في اصلها اربعة انهار نهران باطنان ونهران
ظاهران فقال ما هذه يا جبريل قال اما الباطنان
فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات
وفي رواية انه راي جبريل عند السدرة وله ستمايه
جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من اجنحته
التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله تعالي
ثم اخذ علي الكوثر حتي دخل الجنة فاذا فيها ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر
فراي علي بابها مكتوبا الصدقة بعشر امثالها والقرض
بثمانية عشر فقال يا جبريل ما بال القرض افضل من
الصدقة قال لان السايل يسال وعنده ما يكفيه
والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة فسار فاذا
هو بانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفي واذا رمانها
كالدلا وفي رواية واذا فيها رمان كانه جلود الابل
المقتبة واذا بطيرها كالبخاتي فقال ابو بكر يا رسول
الله ان تلك الطير لناعمة قال آكلتها انعم منها واني

لارجوا

لارجوا ان تاكل منها وراي نهر الكوثر علي حافتيه
قباب الدر المجوف واذا طينه مسك اذفر بالذال
المعجمة ثم عرضت عليه النار فاذا فيها غضب الله
وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها
فاذا قوم ياكلون الجيف فقال من هولا يا جبريل قال
هولا الذين ياكلون لحوم الناس وراي ملكا خازن
النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب في وجهه
فبدا النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام ثم اغلقت دونه
ثم رفع الي سدرة المنتهي فغشيته سحابة فيها من
كل لون فتاخر جبريل ثم عرج به حتي ظهر لمستوي
سمع فيه الاقلام وراي رجلا مغيبا في نور العرش
فقال من هذا املك قيل لا قال نبي قيل لا قال من هو
قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله
وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط فراي
ربه سبحانه وتعالي فخر النبي صلي الله عليه وسلم
ساجدا وكلمه ربه تعالي عند ذلك فقال له يا محمد
قال لبيك يا رب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم
خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسي تكليما ...
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت
له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له
الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته

ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسي التوراة
والانجيل وجعلته يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتي
باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن
للشيطان عليهما سبيل فقال الله سبحانه وتعالي قد
اتخذتك حبيبا قال الراوي وهو مكتوب في التوراة
حبيب الله وارسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك
لا اذكر الا وتذكر معي وجعلت امتك خير امة اخرجت
للناس وجعلت امتك وسطا وجعلت امتك هم
الاولون والاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة
حتي يشهد وانك عبدي ورسولي وجعلت من
امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول
النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضي له واعطيتك
سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة
والجهاد والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واني يوم خلقت السموات والارض
فرضت عليك وعلي امتك خمسين صلاة فقم بها
انت وامتك وفي رواية واعطي رسول الله صلي
الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة
البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيا من امته

المقحمات

المقحمات اي المهلكات ثم انجلت عنه السحابة واخذ
بيده جبريل فانصرف سريعا فاتي علي ابراهيم
فلم يقل شيا ثم اتي علي موسي قال ونعم الصاحب كان
لكم فقال ما صنعت يا محمد ما فرض ربك عليك
وعلي امتك قال فرض الله علي وعلي امتي خمسين
صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الي ربك فاسئله
التخفيف عنك وعن امتك فان امتك لا تطيق
ذلك فاني قد جربت الناس قبلك وبلوت بني
اسرايل وعالجتهم اشد المعالجة علي ادني من
هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا
وابدانا وقلوبا وابصارا واسماعا فالتفت النبي
صلي الله عليه وسلم الي جبريل يستشيره فاشار اليه
جبريل ان نعم ان شيت فرجع سريعا حتي انتهي
الي الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا وقال
رب خفف عن امتي فانها اضعف الامم فقال
وضعت عنك خمسا ثم انجلت السحابة ورجع الي
موسي فقال وضع عني خمسا فقال ارجع الي ربك
فاسله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فلم يزل
يرجع بين موسي وبين ربه يحط عنه خمسا خمسا
حتي قال يا محمد قال لبيك وسعديك قال هي خمس
صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون

صلاة لا يبدل القول لدي ولا ينسخ كتابي ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتب الله له حسنة فان عملها
كتب له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا
فان عملها كتبت سيية واحدة فنزل حتى انتهى الى موسى
فاخبره فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان
امتك لا تطيق ذلك فقال قد راجعت ربي حتى استحييت
منه ولكن ارضى واسلم فنادى منادٍ ان قد امضيت
فريضتي وخففت عن عبادي فقال له موسى اهبط
بسم الله ولم يمر على ملا من الملايكة الا وقالوا عليك
بالحجامة وفي رواية مر امتك بالحجامة ثم انحدر
فقال لجبريل مالي لم ات اهل سما الا رحبوا بي وضحك
الي غير واحد سلمت عليه فرد علي السلام ورحب
بي ودعا لي ولم يضحك لي قال ذلك مالك خازن
النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك
لك فلما نزل الى سما الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا
هو برهج ودخان واصوات فقال ما هذا يا جبريل
قال هذه الشياطين يحومون على اعين بني ادم لا يتفكرون
في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لراوا العجايب
ثم ركب منصرفا فمر بعير بمكان لقريش كذا وكذا
منه جمل عليه غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذا
العير نفرت واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر

ومر بعير قد اضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلم عليهم
فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى اصحابه قبيل
الصبح بمكة فلما اصبح قطع وعرف ان الناس تكذبه
فقعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجا حتى جلس
اليه فقال له كالمستهزي هل كان من شي قال نعم
قال ما هو قال اسري بي الليلة قال الى اين قال الى
بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم
فلم يره انه يكذبه مخافة ان يجحد الحديث ان دعا
قومه اليه قال ارايت ان دعوت قومك اتحدثهم بما
حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب ابن لوي
فانتفضت اليه المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما
فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اسري الليلة بي قالوا الى
اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين
ظهرانينا قال نعم فمن بين ومن بين واضع يده على
راسه متعجبا وضجوا واعظموا ذلك فقال المطعم
بن عدي كل امرك كان قبل اليوم كان امما غير
قولك اليوم انا اشهد انك كاذب نحن نضرب
اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا
شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واللات والعزى
لا نصدقك فقال ابو بكر يا مطعم بيس ما قلت
لابن اخيك جبهته وكذبته انا اشهد انه صادق

فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناوه وكيف
هيئته وكيف قربه من الجبل وفي القوم من سافر اليه
فذهب ينعت لهم بناوه كذا وهيئته كذا وقربه من
الجبل كذا فما زال ينعت لهم حتى التبس عليه النعت
فكرب كربا ما كرب مثله قط فجي بالمسجد ينظر اليه
حتى وضع دون دار عقيل او عقال فقالوا كم للمسجد
من باب ولم يكن عدها فجعل ينظر اليه ويعدها
بابا بابا ويعلمهم وابو بكر يقول صدقت صدقت
اشهد انك رسول الله فقالت القوم اما النعت
فوالله لقد اصاب ثم قالوا لابي بكر افتصدقه انه
ذهب الليلة الى بيت المقدس وجا قبل ان يصبح
قال نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه
بخبر السما في غدوة او روحة فبذلك سمي ابو بكر
الصديق ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فقال اتيت
على عير بني فلان بالروحا قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا
في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها منهم احد
واذا بقدح ما فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني
فلان بمكان كذا وكذا جمل احمر عليه غرارة سودا وغرارة
بيضا فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير
وانكسر ثم انتهيت الى عير فلان في التنعيم يقدمها
جمل احمر اورق عليه مسح اسود وغرارتان سود
داوان وها هي تطلع عليكم من الثنية قالوا فمتى

تجي

تجي قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجي فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست
عليه الشمس حتى دخلت العير فاستقبلوا الابل فقالوا
ضل لكم بعير قالوا نعم قال وسالوا العير الاخر فقالوا
هل انكسر لكم ناقة حمرا قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم
قصعة من ما فقال رجل انا والله وضعتها فما شربها
احد منا ولا اهرقت في الارض فرموه بالسحر وقالوا
صدق الوليد فانزل الله تعالى وما جعلنا الرويا التي
اريناك الا فتنة للناس **ولنشرع الان بعون الله
تعالى** في الكلام على بعض الفوايد المتعلقة بقصة
الاسرا والمعراج وهل تكررا او لا وقد اختلف في
ذلك والذي ذهب اليه الجمهور من المفسرين والمحدثين
والفقها والمتكلمين الى انهما وقعا في ليلة واحدة
بالروح معا في اليقظة لا في المنام من مكة الى بيت
المقدس الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى
حيث شا العلي الاعلى **قال القاضي عياض** وغيره
وهو الحق وعليه تدل الاية نصا وصحيح الاخبار الى
السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر والاخبار
الواردة فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان
من الفاظها الى التاويل الا عند الاستحالة وتعذر

حمل اللفظ على حقيقته وليس في الاسرا بجسده حال
يقظته استحالة تؤذن بتاويل اذ لو كان مناما لقال
سبحان الذي اسري بروح عبده ولم يقل بعبده والعبد
حقيقته هو الروح والجسد كما تقدم ذلك ولو كان مناما
لما كان فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة تورث صدقه
وان كانت رويا الانبيا وحيا اذ ليس فيه من الابلغية
وخرق العادة ما فيه يقظة وايضا لو كان مناما لما
استبعده المشركون ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفا
من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الاستبعاد والتكذيب
والارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان
عن جسمه وحال يقظته وذلك يبعد عن ساحة
العادة خصوصا ووقوعه في مثل ذلك الزمن مما
يستبعد جدا وذهب بعضهم الي ان الاسرا كان في
ليلة والمعراج كان في ليلة اخري **قال** ابن دحية
واليه جنح البخاري لانه افرد لكل منهما ترجمه **قال**
الحافظ بن حجر ولا دلالة في ذلك علي التغاير عنده
بل كلامه في اول الصلاة ظاهر في اتحادهما وذلك
لانه ترجم باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسرا
والصلاة انما فرضت في المعراج فدل علي اتحادهما
عنده وانما افرد كلا منهما بترجمة لان كل منهما يشتمل

عن

علي قصة منفردة وان كانا وقعا معا انتهى **ويويد**
وقوع المعراج عقب الاسرا في ليلة ولحق رواية
ثابتة عند مسلم اوتيت بالبراق فركبت حتي اوتيت
بيت المقدس فذكر القصة الي ان قال **ثم عرج بنا**
الي السما الدنيا وحديث ابي سعيد الخدري عن
ابن اسحاق فلما فرغت مما كان في بيت المقدس
اوتي بالمعراج فذكر الحديث وذهب جماعة الي ان
الاسرا كان بروحه في المنام ويعزي هذا المذهب
لمعاوية رضي الله تعالى عنه واحتج لذلك بقوله تعالى
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس والرويا
انما تطلق علي ما كان مناما ولظاهر ما في بعض
الاحاديث من قوله بينا انا نايم وفي بعض الطرق
فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ويعزي هذا
المذهب ايضا لعايشة رضي الله تعالى عنها لما في
حديث ابن اسحاق من قولها ما فقدت رسول
الله صلي الله عليه وسلم وانما اسري بروحه واجيب
عن الاية بان الرويا قد تكون بمعني الرويه في
اليقظة كما نقل عن ابن عباس وبان قوله فتنة
للناس يويد انها رويا عين اذ ليس في الحلم فتنة
ولا يكذب به احد وعن قوله بينا انا نايم بان اول
مجي الملك اليه وهو نايم فايقظه لا انه استمر نايما

واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فمعناه
افقت اي افاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة
عجايب الملكوت فرجع الي عالم الملك فلم يرجع الي
حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام على ان الحديث
الذي ورد فيه ذكر النوم موهن فان العلما اتفقوا
على ان شريكا راويه اضطرب فيه وما حفظه
وزاد ونقص وقدم واخر وعن ما يعزي لعايشة
بانه لم يرد بسند يصلح للحجة بل في سنده انقطاع
وراو مجهول وبتقدير صحته فعايشة لم تكن زوجة
اذ ذاك ولا كانت في سن من يضبط الامور وعلى
القول بان الاسرا كان بعد المبعث بعام لم
تكن ولدت بعد فاذا لم تشاهد ذلك دل على
انها حدثت به عن غيرها فلم يرجح خبرها مع
قول ام هاني بخلافه **وذهب** جماعة منهم الامام
ابو شامة الي تكرر الاسرا والمعراج واحتج بما رواه
البزار وغيره عن انس من قصة في المعراج مخالفة
لما تقدم في قصته **قال** الحافظ بن حجر ولا بعد
في وقوع مثل ذلك في المنام وانما المستغرب
وقوع التعدد في قصة المعراج التي وقع فيها
السوال عن كل نبي وسوال كل منهما هل بعث اليه
وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد

ثم

مثل ذلك في اليقظة لا يتجه فيتعين رد بعض الروايات
المختلفة الي بعض والترجيح الا انه لا بعد في وقوع
جميع ذلك في المنام ثم وقوعه في اليقظة على وفقه
انتهي وقد ذهب جماعة منهم البغوي وجزم به النووي
في فتاويه الي ان الاسرا وقع مرتين مرة في النوم
ومرة في اليقظة قالوا وكانت مرة النوم توطية
له وتسهيل عليه كما كان بدو نبوته الرويا الصادقة
ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف
عنه القوة البشرية وكذلك الاسرا سهله عليه
بالرويا لان هوله عظيم فجا في اليقظة على وفقه
في المنام توطية وتقدمة رفقا من الله بعبده
وتسهيلا عليه **الوجه الثاني** في وقت الاسرا به
ومكانه اما وقت الاسرا فالصواب الذي اتفق
عليه العلما ان الاسرا كان بعد البعثة واما
ما وقع في بعض الروايات انه جاءه ثلاثة نفر
قبل ان يوحي اليه فكانت تلك الليلة فلم يرهم
حتي اتوه مرة اخري فيحمل على ان المجي الثاني
كان بعد ان اوحي اليه وحينئذ وقع الاسرا
والمعراج واذا كان بين المجيين مدة فلا فرق بين
ان تكون قليلة او كثيرة **قال** ابن كثير وهذا الحمل
هو الاظهر وبه يرتفع الاشكال كما قاله الحافظ ابن حجر

ويحتمل كما قاله بعضهم ان يكون المعني قبل ان يوحي
اليه في شان الاسري والمعراج مثلا اي وقع ذلك
بغتة قبل ان ينذر به واختلفوا في اي سنة كان
فجزم جمع بانه كان قبل الهجرة بسنه وجري عليه
النووي وبالغ ابن حجر فنقل فيه الاجماع وقيل
قبل الهجرة بثلاث سنين حكاه ابن الاثير وقال
القاضي عياض قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه
بالاتفاق علي ان خديجة صلت معه بعد فرض
الصلاة والخلاف انها ماتت قبل الهجرة بثلاث او خمس
ولا خلاف ان فرضها كان ليلة الاسرا واجيب بان
الصلاة التي صلتها معه هي كانت اول البعثة
وكانت ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وانما
الذي فرض عليه ليلة الاسرا الصلوات الخمس وماتت
خديجة قبل ذلك وقيل كان بعد البعثة بخمس
سنين وقيل بخمسة عشر شهرا او قيل بعام ونصف
واختلفوا ايضا في اي الشهور كان فجزم ابن الاثير
وجمع منهم النووي في فتاويه كما في النسخ المعتمدة
انه في ربيع الاول قال النووي ليلة سبع وعشرين
وجري عليه جمع وفي بعض نسخ شرح مسلم وغيره
كما في الفتاوي وفي اكثر النسخ من شرح مسلم انه
كان في ربيع الثاني كما في بعض نسخ الفتاوي وقيل

كان ليلة سبع وعشرين من رجب وجزم به النووي
في الروضة تبعا للرافعي وقيل كان في رمضان وقيل
كان في شوال وعين بعضهم اليوم الذي اسفرت
عنه تلك الليلة بانه يوم الاثنين وكون المعراج يوم
الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة
يوم الاثنين قال فان هذه اطوار الانتقالات
النبوية وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة فهذه
خمسة اطوار فيكون يوم الاثنين في حقه صلي الله
عليه وسلم كيوم الجمعة في حق ادم عليه الصلاة
والسلام فيه خلق وفيه انزل الي الارض وفيه
تاب الله عليه وفيه مات وكانت اطواره هذه
الوجودية والدينية خاصة بيوم واحد وروي
ابن ابي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله
تعالي عنهم قالا ولد رسول الله صلي الله عليه وسلم
يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج الي السما وفيه
مات وقولها وفيه عرج الي السما اراد ليلته لان الاسرا
كان بالليل اتفاقا واما مولده صلي الله عليه وسلم
فالصحيح انه كان نهارا كما قاله البدر الزركشي وقيل
كان ليلا فعليه المراد ايضا ليلته كما تقدم واما مكانه
فباعتبار البلد المشهور انه بمكة ومن قال بالمدينة
فمحمول علي التعدد في المنام وباعتبار المكان الخاص

فيوخذ من الاحاديث اقوال ففي رواية انه كان
عند البيت وفي اخري في الحطيم وربما قال في الحجر
والمراد بالحطيم هنا الحجر كما قاله ابن حجر **وفي رواية**
فرج سقف بيتي وانا بمكة وفي رواية انه اسري به
من شعب ابي طالب وفي رواية انه كان في بيت
ام هاني **قال** الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الاقوال
انه نام في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي
طالب ففرج عن سقف بيته واضاف البيت اليه
لانه كان يسكنه فنزل منه منزلة الملك واخرجه
الي المسجد فكان مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخرجه
الي باب المسجد فاركبه البراق قال وقد وقع في
مرسل الحسن عند ابن اسحق فاتاه فاخرجه
الي المسجد وهو يويد هذا الجمع انتهي وقال بعضهم
ليس بين قوله بينما انا في المسجد وبين قوله في
بيت ام هاني تناف لانه قد يكون المراد بالمسجد
الحرام الحرم كله انتهي **الوجه الثالث** هل وقع
الاسرا لغيره صلي الله عليه وسلم من الانبيا او هو
من خصوصياته صلي الله عليه وسلم لجاب
العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرا
بالجسم الي تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من
الانبيا الا لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم انتهي

وقد عد

وقد عد ايضا من خصايصه صلي الله عليه وسلم
الحافظ الجلال السيوطي في خصايصه الكبري والصغري
الوجه الرابع قال ابن المنير كانت كرامته صلي الله
عليه وسلم في المناجاة علي سبيل المناجاة كما اشار
اليه بقوله بينا انا نايم وفي حق موسي صلي الله عليه
وسلم عن ميعاد واستعداد فحمل عنه صلي الله عليه
وسلم الم الانتظار ويوخذ من ذلك ان مقام النبي
صلي الله عليه وسلم بالنسبة الي مقام موسي مقام
المراد بالنسبة الي مقام المريد وقال ابن دحية في
قوله فرج سقف يقال لم لم يدخل عليه من الباب
مع قوله تعالي واتوا البيوت من ابوابها فالحكمة في
ذلك المبالغة في المناجاة والتنبيه علي ان الكرامة
والاستدعا كان علي غير ميعاد والاشارة الي ما سيقع
من شق صدره والتامه بلا معالجة فاراه الملك
بافراجه عن السقف والتامه علي الفور كيفية
ما يصنع به وقرب له الامر لطفا في حقه وتثبيتا
لصبره وقال بعضهم الحكمة في نزوله عليه من السقف
التنبيه علي ان المراد منه انه يعرج به الي جهة العلو
الوجه الخامس الرجلان اللذان كان النبي صلي
الله عليه وسلم نايما بينهما تلك الليلة حمزة وجعفر
رضي الله تعالي عنهما قال ابن ابي جمرة وفي هذا دليل

علي تواضعه صلي الله عليه وسلم وحسن خلق ادابه
في الفضل حيث هو ومع ذلك كان يضطجع مع الناس
ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه الكريمة مزية عليهم وفيه
دليل علي جواز نوم جماعة في موضع واحد لكن يشترط
في ذلك ان يكون لكل منهم ما يستر به جسده عن صاحبه
الوجه السادس فيما وقع في القصة من شق صدره
الشريف وقد انكر بعضهم وقوع ذلك ليلة الاسرا
وقال انما كان ذلك وهو صغير في بني سعد **قال**
الحافظ بن حجر وغيره ولا انكار في ذلك فقد تواترت
به الاخبار ووقع له صلي الله عليه وسلم ذلك ثلاث
مرات الاولي وهو صغير في بني سعد عند مرضعته
حليمة الثانية عند البعثة الثالثة ليلة الاسرا
ولكل من الثلاثة حكمة فالاولي التي كانت في زمن
الطفولية لينشا علي اكمل الاحوال من العصمة من
الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام
قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس
والثانية التي عند المبعث زيادة في الكرامة
ليتلقي ما يوحي اليه بقلب قوي في اكمل الاحوال
من التطهير والثالثة التي عند ارادة العروج
الي السما ليتاهب للمناجاة **قال** الحافظ المذكور
ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة

في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما هي في شرعه
صلي الله عليه وسلم في الطهارة **قال** بعضهم وهذه
الحكمة من اعظم الحكم والطفها وادقها وحقها ان
تكتب بما الذهب علي صفحات القلوب لارتفاع محلها
قال بعضهم قدس الغسل لداخل الحرم الشريف
فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم
الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكاينات انيط
الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ولما
كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن
الكاينات انيط الغسل بباطن البدن في التحقيقات
وقد عرج به لتفرض عليه الصلاة وليصلي بملايكة
السموات ومن شان الصلاة الطهور فقدس ظاهرا
وباطنا فهو صلي الله عليه وسلم وان كان الله
تعالي خلقه نورا منتقلا من الانبيا وفي صفا
النور ما يغني عن التطهير الحسي لكن الغسلة الاولي
لعلم اليقين والثانية لعين اليقين والثالثة
لحق اليقين **وقد ورد** ان صدره صلي الله عليه
وسلم شق ايضا وهو ابن عشر سنين فتكون
المرات اربعا وذكر بعضهم في حكمة ذلك ان العشرة
لما كانت قريبا من سن التكليف شق صدره عليه الصلاة
والسلام وقدس حتي لا يلتبس بشي مما يعاب علي الرجال

قال الحافظ بن حجر وما ذكر من شق الصدر واستخراج
القلب مما يجب التسليم له ولا يصرف عن حقيقته
لصلاحية القدرة فلا يستحيل شي من ذلك ويويد
كما قال بعضهم الحديث الصحيح انهم كانوا يرون اثر
المخيط في صدره **قال** ابن المنير وشق الصدر له
صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس
ما ابتلي به الذبيح وصبر عليه بل هذا اشق واجل
لان تلك معاريض وهذه حقيقية وايضا فقد
تكرر ورفع له وهو رضيع بعيد من اهله صلى الله
عليه وسلم **وقد اختلف** هل كان شق صدره وغسله
مخصوصا به او وقع لغيره من الانبيا قال الحافظ
بن حجر في الفتح وقد وقع عند الطبراني في قصة
تابوت بني اسرايل انه كان فيه الطست الذي يغسل
فيه قلوب الانبيا وقد اشعر بالمشاركة انتهي وصحح
الحافظ الجلال السيوطي في خصايصه الصغرى
عدم المشاركة وانه من خصايصه صلى الله عليه
وسلم وخالفه تلميذه العلامة محمد الشامي فقال الراجح
المشاركة واستند لقصة تابوت بني اسرايل من
طريق السدي الكبير كما رواه سعيد بن منصور
وابن جرير بسند صحيح بزيادة على ما تقدم ثم
قال ولم ار لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد

الفحص

الفحص الشديد **قلت** لكن يمكن ان يقال وقوع
شق الصدر له صلى الله عليه وسلم مع تكرره مع
ثلاث مرات او اربعا لم يشاركه احد من الانبيا
فيه وعليه يحمل كلام الجلال السيوطي واما مطلق
شق الصدر فوقعت فيه المشاركة لغيره من
الانبيا وعليه يحمل كلام غيره وسند ما قلته
ان تكرر شق الصدر له صلى الله عليه وسلم ثبت
في الاحاديث التي بعضها في الصحيحين ووقوع
شق الصدر لغيره انما اخذ من القصة المذكورة
وليس فيها تعرض للتكرر هذا ما ظهر والله اعلم
واختلف هل وقع له ذلك مع مشقة او لا فقال
الحافظ ابن حجر من غير مشقة وبه جزم ابن
الجوزي فسقط وما شق عليه وقال ابن دحية
بمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه اي صار كلون
النقع وهو الغبار وهذه صفة الوان الموتى
قال بعضهم رواية انتقع لونه حكاية لما وقع
له من المرة الاولى وهو صغير في بني سعد ومن
حديث ابي هريرة في المرة الثانية وهو ابن عشر
ما يويد انه لم يقع له مشقة بعد المرة الاولى
ووقع السوال هل كان شق صدره صلى الله عليه
وسلم بالة قال بعض المحدثين لم ار من تعرض

له بعد التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بآلة **الوجه السابع** في الحكمة في اختصاص الاتيان بطست من ذهب اما الطست فلكونه اشهر الات الغسل عرفا واما كونه من ذهب فلانه اعلي الاواني واصفاها ولان فيه خواص ليست في غيره منها انه من اواني الجنة وانه لا تاكله النار ولا التراب ولا يصدي ولانه اثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي **قال** السهيلي وابن دحية ان نظر الي لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الي ربه وان نظر الي معناه فلوضاءته ونقايه وثقله والوحي ثقيل واما تحريم استعماله فهو مخصوص باحوال الدنيا وذلك كان من احوال الغيب فليلتحق باُمور الاخرة وقال النووي ليس في هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال اواني الذهب والفضة لان هذا فعل الملايكة واستعمالهم وليس بلازم ان يكون حكمهم حكمنا ولانه كان قبل تحريم النبي صلي الله عليه وسلم استعمال اواني الذهب والفضة انتهى اي لان التحريم انما وقع في المدينة كما نبه عليه الحافظ بن حجر وهذا احسن من جوابه الاول لانه تعقب بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له ممن يحرم عليه ذلك من الملايكة لانه لو كان

قد

قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمل غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم **الوجه الثامن** يوخذ من غسل قلبه صلي الله عليه وسلم بما زمزم انه افضل من ما الكوثر لانه لم يكن يغسل قلبه الشريف الا بافضل المياه قاله الامام البلقيني وقال ابن ابي جمرة انما لم يغسل بما الجنة لما اجتمع في زمزم من كون اصل مايها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بقا بركته صلي الله عليه وسلم في الارض انتهى وقيل لان ما زمزم يقوي القلب ويسكن الروع **قال** الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل به قلبه صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا ليقوي علي روية الملكوت **الوجه التاسع** في معني ما ورد في القصة انه لما استخرج قلبه الشريف صلي الله عليه وسلم فغسله ونزع ما كان فيه من اذى وفي بعض الروايات انه اخرج منه علقة سودا وقال هذا حظ الشيطان منك وقد سيل الامام التقي السبكي رحمه الله تعالي عن العلقة السودا التي اخرجت من قلبه صلي الله عليه وسلم حين شق فواده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب رحمه الله تعالي بان تلك العلقة خلقها الله تعالي في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان

فيها فازيلت من قلبه صلي الله عليه وسلم فلم يبق
فيه مكان لان يلقي الشيطان فيه شيا هذا معني
الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ واما الذي
نفاه الملك امر هو في الجبلات البشرية فازيل القابل
الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في
القلب قيل له فلم خلق الله تعالى هذا القابل في
هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه الله
في فقال انه من جملة الاجزا الانسانية فخلقت
تكملة للخلق الانساني ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية
طرات وقال غيره لو خلق الله تعالى نبيه صلي الله
عليه وسلم سليما منها لم يكن للادميين اطلاع علي
حقيقته فاظهره الله تعالى علي يد جبريل عليه
الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل
الظاهر **الوجه العاشر** في معني كون الطست
مملوا حكمة وايمانا وافراغه في الصدر مع ان الايمان
والحكمة من الاعراض وهي لا يوصف بها الا محلها
الذي تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه من صفات
الاجسام **قال** الامام النووي والحافظ بن حجر
المعني جعل في الطست شي يحصل به زيادة في
كمال الايمان وكمال الحكمة وهذا المملو يحتمل ان يكون
علي الحقيقية وتجسد المعاني جايز كما جا ان سورة

البقرة

البقرة تجي يوم القيامة كانها الظلة والموت في صورة كبش
وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك **وقد اختلف**
في تفسير الحكمة علي اقوال كثيرة **قال** والذي صفا
لنا منها انها العلم المشتمل علي معرفة الله تعالى
مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق
للعمل به والكف علي ضده والحكيم من حاز ذالك
وقوله فافرغه اي الطست الممتلي حكمة وايمانا
في صدري المراد به القلب فسماه باسم ما هو فيه
وهو الصدر **قال** الشيخ ابو محمد ابن ابي جمرة
الحكمة في شق صدره مع القدرة علي ان يمتلي قلبه
ايمانا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين لانه
اعطي برؤية شق بطنه وعدم تاثره بذلك ما امن
معه من جميع المخاوف العادية فلذلك كان اشجع
الناس حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله ما زاغ البصر
وما طغي **الوجه الحادي عشر** في الحكمة في الختم
بين كتفيه بخاتم النبوة مع بعض الكلام علي الخاتم
المذكور وقدره **قال** الامام السهيلي الحكمة في وضع
خاتم النبوة علي جهة الاعتياد انه لما ملي قلبه ايمانا
ختم عليه كما يختم علي المملو مسكا او درا فجمع الله
تعالى اجزا النبوة لسيدنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم وتممه وختم عليه بختمه فلم تجد نفسه ولا

عدوه سبيلا اليه من اجل ذلك الختم لان الشي المختوم
محروس وكذلك بين الله تعالى لنا في هذه الدار
اذا وجد احدنا الشي بختمه زال الشك وانقطع الخصام
في ما بين الادميين فكذلك ختم رب العالمين في قلبه
حتى يطمين له القلب الذي القي النور فيه وفقدت
قوة القلب فظهر بين كتفيه كالبيضة وقد اختلف في
موضع الخاتم من جسده فوقع في بعض الاحاديث انه
بين كتفيه وفي صحيح مسلم نغض كتفه اليسرى وفي
رواية شاذة انه عند غضروف كتفه اليمين والنغض
بنون نضم ولفتح فغين ساكنه فضاد معجمتين اعلا
الكتف عند الجمهور والغضروف بغين معجمة مضمومة
فضاد ساكنة معجمتين فراء فواو ففا راس لوح
الكتف ووقع في حديث شداد ابن اوس في مغازي
ابن ابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني
سعد ابن بكر واقبل وفي يده خاتم له شعاع فوضعه
بين كتفيه ويديه قال الحافظ ابن حجر وهذا قد
يوخذ منه ان الختم وقع له في موضعين من جسده
والعلم عند الله تعالى ومقتضى الاحاديث التي فيها
شق الصدر ووضع الخاتم انه لم يكن موجودا حين
ولادته وانما كان اول وضعه لما شق صدره عند
حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع قال

السهيلي

السهيلي والحكمة في كون الخاتم عند نغض الكتف
انه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع
منه يدخل الشيطان يوسوس اي لان القلب من
تلك الجهة وقد اختلف في صفة خاتم النبوة على اقوال
كثيرة قولا متشاربة المعنى ففي رواية انه مثل زر
الحجلة والزر واحد الازرار والحجلة واحد الحجال وهي
بيت كالقبة له ازرار كبار وعرى كالبشخانه هذا
هو الاشهر في تفسير ذلك وفي رواية انه كجمع بضم
الجيم واسكان الميم اي جمع الكف وهو صورته
بعد ان يجمع الاصابع ونضمها وفي رواية انه
كبيضة الحمامة وفي اخرى انه شعر مجتمع قال
بعض اختلف اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس
ذلك باختلاف بل كل شبه بما سنح له وكلها الفاظ
مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان
الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى
انه شامة سودا تضرب الى الصفرة حولها شعرات
متراكبات كانها عرف الفرس وقال القرطبي دلت
الاحاديث الثابتة على ان خاتم النبوة كان شيا بارزا
احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة
واذا كبر جمع اليد وذكر نحوه القاضي عياض وزاد
واما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتتاول على

وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة
جمع الكف لكنه اصغر منه في قدر بيضة الحمامة
واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب ابن منبه
قال لم يبعث الله نبيا الا وقد كان عليه شامة النبوة
في يده اليمين الا ان يكون نبينا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت بين كتفيه قال في المواهب
وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه
مما اختص به عن ساير الانبيا والله اعلم وذكر الحافظ
مغلطاي في الزهر ان الحاكم روي في تاريخه عن
عايشة انها لمست الخاتم حين توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوجدته قد رفع انتهى والحكمة
في رفعه عند موته صلى الله عليه وسلم مع ان
النبوة والرسالة باقيتان بعد موته حقيقة لحياته
في قبره كساير الانبيا لانه لما وضع لحكمة وهي تمام
الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الامن منه
بالموت فلم يبق لبقايه في جسده فايدة الوجه
الثاني عشر في الكلام على البراق وفي الحكمة في
ركوبه صلى الله عليه وسلم وفي حكمة استصعابه
عند ارادته الركوب عليه فالبراق بضم الموحدة
وتخفيف الرا مشتق من البريق فقد جا في لونه انه
ابيض او من البرق لانه وصف بسرعة المسير

او من قولهم شاة برقا اذا كان خلال صوفها الابيض
طاقات سودا ولا ينافيه وصفه في الحديث
بالبياض لان البرقا من الغنم معدودة في البيض
ويجوز ان يجمع بين المعنيين فيسمى براقا للونه
ولسرعة سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا وقد
ورد في صفته اقوال امثلها ما ذكر في القصة
عن ابن عباس والسر في كون جناحيه في فخذيه
نقل موخر اله اية اولان ذلك جار على هذا الامر
في خرق العادة اولاجل الراكب لانهما لو كانا في جنبيه
على العادة لكانا تحت فخذي الراكب او فوقهما فيه
ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا مع
السرعة العظيمة وفي بعض الاثار ان البراق ليس
بذكر ولا انثى فاقتضى ذلك ان يكون منفردا بالخلق
بهذه الصفة من غير تولد وقد قال تعالى ومن
كل شي خلقنا زوجين لكن نقل الشيخ سعد الدين التفتازاني
ان الملايكة الكرام لا ذكور ولا اناث الى اخر ما ذكره
وفي اثر اخر جبريل خاطبه خطاب المونث قال
ابن ابي جمرة ما ملخصه وانما كان ركوب النبي صلى
الله عليه وسلم على البراق والقدرة صالحة لان يصعد
بنفسه من غير براق لكن لما كان البراق بشارة له
في تشريفه لانه لو صعد بنفسه لكان في صورة

ماش والراكب خلاف الماشي وقال ابن دحية ما يخلصه
ايضا ولعل الاسرا بالبراق اظهارا للكرامة العرفية
فان الملك العظيم اذا استدعي وليا له وخصيصا
به واستخصه اليه بعث اليه بمركوب سني يحمله
عليه في وفادته اليه ولم يكن البراق بشكل الفرس
ولكنه بشكل البغل للاشارة الي ان الركوب في سلم
وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة
في الاسراع العجيب من دابة ما يوصف شكلها
بالاسراع الشديد عادة فان قيل هلا كان الاسرا
علي اجنحة الملايكة او الريح كما كانت تحمل سليمان عليه
الصلاة والسلام او الخطوة كطي الزمان قلت
المراد اطلاعه علي الايات الخارقة للعادة وما
يتضمن امرا عجيبا ولا عجب في حمل الملايكة او الريح
بالنسبة الي قطع هذه المسافة بخلاف قطعها
علي دابة في هذا الحجم المحكي عن صفتها ووقع من
تعظيمه بالملايكة ما هو اعظم من حمله علي اجنحتها
فقط فقد اخذ جبريل بركابه وميكاييل بزمام
البراق وهما اكابر الملايكة فاجتمع له صلي الله عليه
وسلم حمل البراق وما هو كحمل البراق من الملايكة
وهذا اتم في الشرف قاله في فتح الصفا وقد اختلف
في حكمة استصحاب البراق فقال ابن بطال انما

استصحب

٥٨

58

استصحب عليه لبعد بركوب الانبيا قبله ويويد
ما ورد في بعض طرق القصة فاستصحب البراق
وكانت الانبيا تركبها قبله وكانت بعيدة العهد بركوبهم
ولم تكن ركبت في الفترة وقال بعض المتاخرين ولا
يبعد ان يقال انما كان استصحابه فرقا من هيبة
سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال الامام
العيني في شرح البخاري وسمع العبد الضعيف
من بعض مشايخه الثقات انه انما شمس ليعد
له الرسول صلي الله عليه وسلم بالركوب عليه يوم
القيامة فلما وعد له ذلك قر وذلك لانه قد جا
في التفسير في قوله تعالي ولسوف يعطيك ربك
فترضي ان الله تعالي اعد له اربعين الف براق
ترعي في مروج الجنة انتهي وقد روي ابن زنجوية
في فضايل الاعمال عن كثير ابن مرة الحضرمي قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود
لصالح فيركبها من عند قبره حتي يوافي بها المحشر
وانا علي البراق اختصص به من دون الانبيا
يوميذ ويبعث بلال علي ناقة من نوق الجنة
ينادي عليها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبيا واممها
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
قالوا ونحن نشهد علي ذلك وقال ابن دحية وابن

المنبر انما استصعب بها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم واراد بقوله ابجمد تستصعب
استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة
وانما اتاه لمكان النبي صلى الله عليه وسلم منه ولهذا
قال فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال مستبريا
من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب وذلك
قريب من رجفة الجبل به حتى قال اثبت فانما عليك
نبي وصديق وشهيد فهي هزة طرب لا هزة غضب
ولم يسم الله سبحانه وتعالى سير البراق برسول
الله صلى الله عليه وسلم طيرانا وانما سماه بما يسمى
به السير المعتاد وسير الليل عند العرب يسمى اسرا
فيوخذ من هذا ان الولي اذا طويت له الارض
البعيدة في الساعة او اللحظة يتبنا وله اسم المسافر
ويشمله احكام السفر باعتبار القصر والفطر وانما
لم يذكر البراق في الرجوع لان ذلك معلوم بذكره
في الصعود كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر يعني والبرد
ويوخذ مما ذكر في القصة وهنا من ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ركبوا البراق ان ركوبه ليس من
خصايصه صلى الله عليه وسلم **نعم قبل** ركوبه
بسرجا ملجما لم يرد لغيره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام **الوجه الثالث عشر** في قوله في القصة

وتكلم

وتكلم اربعة وهم صغار فذكر ابن الماشطة وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم قد تكلم في
المهد جماعة غيرهم وصلوا بالاربعة المذكورين
عشرة ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة
مرفوعا لم يتكلم في المهد الا ثلاثة فذكر عيسى
وصاحب جريج وابن المراة التي مر عليها بامراة
يقال لها زنت وفي صحيح مسلم في قصة اصحاب
ذات الاخدود ان امراة جي بها لتلقى في النار
لتكفر ومعها صبي مرضع فتقاعست فقال يا امه
اصبري فانك على الحق وفي رواية بن قتيبة انه
كان ابن سبعة اشهر **وروى** الثعلبي عن الضحاك
ان يحيى بن زكريا تكلم في المهد وذكر البغوي في
تفسيره ان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم تكلم
في المهد وفي سير الواقدي ان نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم تكلم في اوايل ما ولد وقد تكلم
في زمنه مبارك اليمامة وهو طفل كما في الدلايل
للبيهقي فهولا عشرة ولما قوله صلى الله عليه وسلم
المروي في الصحيحين كما تقدم لم يتكلم في المهد
الا ثلاثة الى اخره فقال الزركشي اي من بني
اسرايل وقال غيره قاله قبل ان يعلم بالزيادة ه
وقد نظم اسما المتكلمين في المهد العشرة الجلال

السيوطي رحمه الله تعالى فقال
تكلم في المهد النبي محمد
ويحيى وعيسى والخليل ومريم ومبري جريج
ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود يرويه
مسلم وطفل عليه مر بالامة التي يقال لها
تزني ولا تتكلم وماشطة في عهد فرعون طفلها
وفي زمن الهادي المبارك يختم **الوجه الرابع عشر**
ذكر فيه القصة نزوله صلى الله عليه وسلم عن البراق
وصلاته بعدة مواضع وقال حذيفة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يزايل ظهر البراق هو وجبريل حتى
انتهيا الى بيت المقدس **قال** الحافظ بن حجر وهذا لم
يسنده حذيفة الى النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل
انه قاله عن اجتهاده قال بعضهم ويدل على ذلك
انكار ربط البراق والصلاة في بيت المقدس مع ورود
الاحاديث الصحيحة عن جماعة من الصحابة بوقوع
ذلك وظاهر قول حذيفة لم يزايل هو وجبريل ظهر
البراق ان جبريل كان راكب البراق مع النبي صلى الله
عليه وسلم وقد اختلف في ذلك واجاب بعضهم
عن قول حذيفة بانه يحتمل ان يكون قوله هو
وجبريل متعلقا بموافقته في السير لا في الركوب
وقال بن دحية وجبريل قايدا وسايق او دليل

قال

قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة
للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها وقد
تعقب الحافظ بن حجر التاويل المذكور بان في
صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل
حمله على البراق رديفا له **وفي رواية** الحارث في
مسنده اتى بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما
وهذا وما قبله صريح في ركوبه معه وانه كان خلف
جبريل رديفا له لكن في حديث ابن ابي ليلى الذي
رواه الطبراني ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه
وسلم بالبراق فحمله بين يديه والله اعلم واما ما تقدم
من انكار حذيفة رضي الله تعالى عنه ربط البراق
فروى الامام احمد والترمذي عنه انه لما قيل له
اربط البراق فقال لخاف ان يفر منه وقد سخره
له عالم الغيب والشهادة **قال** البيهقي والسهيلي والمثبت
مقدم على ان يعني من اثبت ربط البراق في بيت
المقدس معه زيادة علم من نفي فهو اولى بالقبول
قال الامام النووي وفي ربط البراق الاخذ بالاحتياط
في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا تقدح في
التوكل اذا كان الاعتماد على الله سبحانه وتعالى وقال
السهيلي في هذا من الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم
مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر كما روي عن

وهب بن منبه لا يمنع الحزم من توقي المهالك قال
وهب وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة
وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل
فايمانه صلى الله عليه وسلم بانه قد سخر له كايمانه
بقدر الله تعالى وعلمه بانه قد سبق في ام الكتاب
ما سبق ومع ذلك كان يتزود في اسفاره ويعد
السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين
في غزوة احد وربط البراق من هذا الفن وقوله
ان جبريل اتى الصخرة فوضع اصبعه فيها فخرقها
وشد بها البراق قال الطيبي في شرح المشكاة ما
فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث
انس فربطته بالحلقة التي كانت تربط بها الانبيا
قلت المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه
الحلقة وقد استد فخرقه جبريل عليه السلام انتهى
وهذا الجمع لا يصح لان الحلقة وموضعها بالباب
والذي خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة
وهي داخلة في المسجد بعيدة عن الباب والاولى
ما قاله بعضهم في الجمع انه صلى الله عليه وسلم
ربطه اولا بالحلقة وخرق الصخرة وشد بها
كانه يقول انت لست ممن يكون مركوبه بالباب
بل انت اعلا واغلا فلا يكون مركوبك الا في داخل

المحل

المحل وهذا امر مشاهد في العادة بين الكبراء
الوجه الخامس عشر في صلاته صلى الله عليه
وسلم بالانبيا في بيت المقدس فظاهر الروايات
انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا في بيت المقدس
قبل العروج وهو احد احتمالين للقاضي عياض
وقال الحافظ بن حجر انه الاظهر والاحتمال الثاني
انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم بعد ان هبط
من السما فهبطوا ايضا وصححه الحافظ بن كثير وقال
بعضهم وما المانع من انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم
مرتين فان في بعض الاحاديث ذكر الصلاة بهم
بعد ذكر المعراج وهذه الصلاة التي صلاها النبي
صلى الله عليه وسلم بالانبيا صلى الله عليهم وسلم
الصواب انها الصلاة المعروفة ذات الركوع
والسجود لان النص يحمل على حقيقته الشرعية
قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم
يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية ويؤيده
ما في القصة فاخذ جبريل بيده فقدمه فصلى
بهم ركعتين والظاهر انها كانت فريضة وايده
بعضهم بقوله في بعض طرق القصة ثم اقيمت
الصلاة فاممتهم وفي رواية فاذن جبريل والاذان
والاقامة يؤذنان بانها فريضة ولا يشكل على هذا

ان بدا الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لامانع من
وقوعه ليلة الاسرا قبل شروعية الصلوات الخمس وعلي
كونها فريضة قال بعضهم كانت الصلاة التي صلاها العشا
وقال بعضهم انها الصبح قال بعض المتاخرين وليس بشي
سوا قلنا صلي بهم قبل العروج او بعده لان اول صلاة
صلاها النبي صلي الله عليه وسلم من الخمس مطلقا
الظهر بمكة بالاتفاق ومن حمل الاولوية علي مكة فعليه
الدليل والذي يظهر والله تعالي اعلم من النفل المطلق
او كانت من الصلاة المفروضة عليه قبل ليلة الاسرا
وفي فتاوي النووي ما يويد الثاني وهل قرا فيهما
بام القران لمقتضي قوله صلي الله عليه وسلم لا تجزي
صلاة لا يقرا فيها بام القران او كان ذلك قبل مشروعية
هذا الحكم محل نظر وقال بعضهم لم يرد في تعيين القراة
في تلك الصلاة فيما وقفت عليه خبر صحيح او حسن
يعتمد وفوق كل ذي علم عليم انتهي **قال** بعضهم
ورويته صلي الله عليه وسلم للانبيا وصلاته بهم في
بيت المقدس يحتمل انها كانت للارواح خاصة وانها
تشكلت بصور اجسادها في علم الله تعالي ويويده
ما في حديث ابي هريرة عند الحاكم والبيهقي فلقي
ارواح الانبيا ويحتمل الاجساد بالارواح ويويده
حديث عبد الرحمن بن هاشم عن انس عند البيهقي

وبعث الله ادم فمن دونه من الانبيا وعند البزار والطبراني
فنشر لي الانبيا من سمي الله تعالي ومن لم يسم فصليت
بهم واما رويته لهم في السما فمحمولة علي رويه ارواحهم
وانها تشكلت بصور اجسادهم الا عيسي صلي الله
عليه وسلم لما صح انه رفع بجسده وكذلك ادريس
ايضا او احضرت اجسادهم لملاقاته صلي الله عليه
وسلم تشريفا له وتكريما وقد انكر حذيفة بن اليماني
رضي الله تعالي عنه صلاة النبي صلي الله عليه وسلم
ببيت المقدس تلك الليلة واحتج بانه لو صلي فيه
لكتبت عليكم الصلاة فيه **قال** البيهقي وابن كثير
والمثبت مقدم علي النافي يعني من اثبت الصلاة
ببيت المقدس وهم الجمهور من الصحابة معهم زيادة
علم علي من نفي ذلك فهو اولي بالقبول واما ما احتج
به فيجاب عنه بمنع التلازم بين الصلاة والكتابة
ان كان اراد بقوله كتب عليكم الفرض وان اراد
التشريع فنلتزمه وقد شرع النبي صلي الله عليه
وسلم الصلاة ببيت المقدس فقرنه بالمسجد الحرام
ومسجده في شد الرحال وذكر فضيلة الصلاة فيه
في غير ما حديث فان قيل كيف تصلي الانبيا وهم
اموات وليسوا في دار عمل اجيب بانهم كالشهدا بل
افضل منهم احيا في قبورهم فيصلون ويحجون كما ورد

في الحديث الاخر فلا يستبعد ان يتقربوا الي الله تعالى
بما استطاعوا لان البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في
استكثارهم من الاعمال من غير تكليف وزيادة الاجور
وان كان المنقطع عنهم بالموت هو التكليف وقد تحصل
الاعمال من غير تكليف علي سبيل التلذذ والخضوع
لله تعالي كما جا في الحديث ان اهل الجنة يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس وهو معني قوله تعالي دعواهم فيها
سبحانك اللهم وكما ورد انه يقال للقاري اقرا وارقا
وانظر الي سجود النبي صلي الله عليه وسلم وقت
الشفاعة اليس ذلك عبادة وعملا وعلي كل حال لا يمتنع
حصول هذه الاعمال في مدة البرزخ لان الانبيا لم يقبضوا
حتي يخيروا بين البقا في الدنيا وبين الاخرة فاختاروا
الاخرة ولا شك انهم لو بقوا في الدنيا لازدادوا من
الاعمال الصالحة فلو كان انتقالهم من هذه الدار
يفوت عليهم زيادة فيها يقرب الي الله تعالي لما
اختاروه والله تعالى اعلم **الوجه السادس عشر**
في تقديم الانية هل كان قبل العروج او بعده وفي
عددها فاكثر الروايات انه كان قبله وفي بعضها
انه بعده ففي رواية بعد ذكر روية ابراهيم في السما
السابعة ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة انية مغطاة
وفي رواية كان ذلك بعد ان رفعت له سدرة المنتهي

63

وفي رواية كان ذلك بعد رويته للبيت المعمور
قال ابن كثير وغيره ولعله قدم مرتين لانه ضيافة
له صلي الله عليه وسلم وتبعهم علي ذلك الحافظ ابن حجر
جمعا بين الروايات قال ابن كثير وابن حجر واما الا
ختلاف في عدد الانية وما فيها فيحمل علي ان بعض
الرواة ذكر ما لم يذكر الاخر ومجموعها اربعة انية
فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي تخرج من اصل
سدرة المنتهي واذا قلنا بعرض الانية مرتين ففايده
عرض الخمر مع اعراضه عنه في المرة الاولي وتصويب
جبريل له تكرير التصويب والتحذير مما سواه وهل
كانت الخمر من خمر الجنة او من جنس خمر الدنيا فان
كان الاول فبسبب تجنبها صورتها ومضاهاتها للخمر
المحرمة اي في علم الله او مالا ويكون ذلك ابلغ في
الورع وادق وان كان الثاني فاجتنابها واضح لكن
كانت الخمر اذ ذاك مباحة لانها انما حرمت بالمدينة
والاسرا كان بمكة فوجه بتعيينه صلي الله عليه وسلم
اللبن دون غيره من الاشيا المباحة التي قدمت له
وعد ذلك صوابا وعد الاخر خطا مع انهما سوا في الاباحة
ان يكون فعل ذلك تورعا وتعريضا بانها ستحرم
وانه لما فوض الامر الي اجتهاده صلي الله عليه وسلم
وسداد نظر المعصوم اداه اجتهاده الي تحريم الخمر

وتحليل اللبن فوافق الصواب في علم الله تعالى قال له
جبريل اصبت الفطرة اعني اخترت اللبن الذي عليه
بنيت الخلقة وبه ينبت اللحم ويشتد العظم واخترته
لانه الحلال الدايم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما
يستقر عليه الامر وقال النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام
والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام
والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا
طاهرا سايغا للشاربين سليم العافية واما الخمر فانها
ام الخبايث وجالبة لانواع الشر في الحال والمال انتهى وقال
القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه
اول شي يدخل جوف المولود ويشق امعاه والسر في ميل
النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مالوفا له
اولا انتهى ويستفاد من التعليل المتقدم في سبب
تجنبه صلى الله عليه وسلم الخمر وهو مضاهاتها للخمر
المحرمة ان من اراد شيا من الاشربة كما تدار الخمرة
وهياه بالهياة التي يتعاطاها اهل الشهوات من
الاجتماعات والالات فقد اتى منكرا وحرم ذلك عليه
وان كان لا يحد به وقد ذكر اصحابنا ان ادارة كاس
الما على شاربيه لتشبيها بشارب الخمر حرام يعزر فاعله
الوجه السابع عشر ظاهر قوله في القصة ثم اتي
بالمعراج ان العروج كان لا على البراق وفي ذلك خلاف

قال

قال الحافظ بن كثير انه لما فرغ صلى الله عليه وسلم
من امر بيت المقدس نصب له المعراج وهو السلم
فصعد فيه الى السما ولم يكن الصعود فيه على البرا ق
كما قد يتوهمه بعض الناس بل كان البراق مربوطا
على باب مسجد بيت المقدس ليرجع عليه الى مكة
وقال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى انه الصحيح
الذي تقرر من الاحاديث الصحيحة انتهى تنبيه
اعلم انه قد ورد ان بين الدرجة والدرجة في الجنة
خمسماية عام وان الدرجة تهبط كالابل ليصعد
عليها ولي الله تعالى ثم ترتفع به الى مكانها والظاهر
كما قاله بعضهم ان درج المعراج كذلك والله اعلم
واما الحكمة في الاسرا به صلى الله عليه وسلم الى بيت
المقدس اولا قبل العروج به الى السما فقد تقدم
الكلام عليها عند الكلام على الاية انفا الوجه
الثامن عشر قال ابن المنير ذكر ابن حبيب
ان بين السما والارض بحرا يسمي المكفوف تكون
بحار الدنيا بالنسبة اليه كالقطرة في البحر المحيط
فعلى هذا يكون البحر انفلق لنبينا صلى الله
عليه وسلم تلك الليلة حتى جاوزه فهو اعظم من
انفلاق البحر لموسى صلى الله عليه وسلم الوجه
التاسع عشر في قدر ما بين السما والارض روي

مطلب

الامام احمد وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما عن
العباس رضي الله تعالي عنه قال كنا عند رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال اتدرون كم بين السما
والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما خمسماية
عام وبين كل سما الي سما مسيرة خمسماية سنة وكثف
كل سما خمسماية سنة وفوق السما السابعة بحر بين اعلاه
واسفله كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية
اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض
ثم فوق ذلك العرش بين اسفله واعلاه كما بين السما
والارض ثم الله تعالي فوق ذلك اي سلطانه وملكه
وعظمته وروي الطبراني في الاوسط وابن راهويه
وغيرهما عن الربيع ابن انس قال سما الدنيا موج مكفوف
والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة
نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة
ياقوتة حمرا زاد ابن ابي حاتم وما فوق ذلك صحاري
من نور ولا يعلم ما فوق ذلك الا الله سبحانه وتعالي
وملك موكل بالحجب يقال له ميطاطروش وروي
ابو الشيخ وابن ابي حاتم عن كعب قال سما الدنيا
اشد بياضا من اللبن واخضرت من خضرة جبل
ق. وقوله في الحديث المتقدم من موج مكفوف
الموج ما ارتفع من فوق الما والمكفوف المحبوس.

الوجه

الوجه العشرون استفتاح جبريل ابواب السما
الاشبه كما قاله الحافظ ابن حجر انه كان يقرع لان
صوته معروف ويوبين كما قاله بعضهم ما في بعض
الروايات فقرع الباب وقال ابن دحية استفتاح
جبريل لابواب السما دليل علي انه صادف ابوابها
مغلقة وانما لم تتهيا للنبي صلي الله عليه وسلم بالفتح
قبل مجيه وان كان ابلغ في الاكرام لانه لو راها
منفتحة لظن انها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم ان
ذلك فعل من اجله تشريفا له ولان الله تعالي
اراد ان يطلعه علي كونه معروفا عند اهل
السموات ولذلك لما سالوا جبريل عمن معه فقال
محمد فقالوا ابعث اليه ولم يقولوا من محمد مثلا
ولما قيل لامين الوحي بعد القرع من هذا قال
جبريل فسمي نفسه لانه كان معروفا عندهم ولم يرد
ان احدا من الملايكة يسمي جبريل غيره ولم يقل انا
ليلا يلتبس بغيره ولان فيها اشعارا بالعظمة وفي
الكلام السابر اول من قال انا ابليس فشقي حيث قال
انا خير منه وقالها فرعون فتعس حيث قال انا
ربكم الاعلي ولان انا مبهمة لافتقار التضمير الي
العود فهي غير كافية في البيان والمستاذن محجوب
عن المستاذن عليه غير متعين عنده فكانه لما له

علي جهالة وعلي هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل له من
انت ان لا يقول انا بل يقول فلان لان النبي صلي الله
عليه وسلم انكر علي الذي استاذن عليه فقال من
هذا فجعل يقول انا فقال النبي صلي الله عليه وسلم انا
انا انكارا لذلك ولما سمي جبريل نفسه لهم فتحوا ابواب
السما ولم يتوقفوا في المراجعة في امره فانه معهود
عندهم نزوله وصعوده ولذلك قدم نفسه لانه
الرسول لاحضاره صلي الله عليه وسلم **الوجه الحادي
والعشرون** قول الخازن لجبريل من معك يشعر
بانهم احسوا معه برفيق والا لكان السوال امعك
احد وذلك الاحساس اما بمشاهدة لكون السما
شفافة واما لامر معنوي بزيادة النور وفي قول
جبريل حين سيل عمن معه فقال محمد دليل علي ان
الاسم ارفع من الكنية لانه اخبر باسمه ولم يخبر بكنيته
وهو صلي الله عليه وسلم مشهور في العالمين العلوي
والسفلي فلو كانت الكنية ارفع من الاسم لاخبر بكنيته
وقول الخازن وقد بعث اليه اراد الاستفهام فحذف
الهمزة للعلم بها اي اوقد بعث اليه **قال** العلما ليس
هذا استفهاما عن اصل البعث الذي هو الرسالة
لانه كان مشهورا في الملكوت الاعلي بل البعث للمعراج
وقيل بل سالوا تعجبا من نعمة الله تعالي عليه بذلك

واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقي هذا
الترقي الا باذن الله تعالي وان جبريل لا يصعد
بمن لا يرسل اليه وقال ابن ابي جمرة استفهام الملايكة
بقولهم اوقد ارسل اليه فيه دليل علي ان اهل العالم
العلوي يعرفون رسالته ومكانته لانهم سالوا عن
وقتها هل حل لا عنها ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا
به فنعم المجي جا فكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل
علي ما ذكرناه من معرفتهم بجلال مكانته وتحقيق
رسالته لان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب
والترفيع علي المعروف من عادة العرب وقد قال
بعض العلما في معني قوله تعالي لقد راي من
ايات ربه الكبري انه راي صورة ذاته المباركة
في الملكوت فاذا هو عروس المملكة ولما اتي الخازن
بصيغة الغيبة في قوله مرحبا به ولم يخاطبه بقوله
مرحبا بك لان ذلك كان قبل ان يفتح الباب وقيل
ان يصعد من النبي صلي الله عليه وسلم كلام معه
وخطاب والخطاب والكلام انما كان مع جبريل بالسوال
والجواب فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين
ويجوز ان يكون الخازن انما حياه بغير صيغة الخطاب
له لان ها الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب
وفي قول الخازن مرحبا به الخ دليل علي ان الحاشية

اذا فهموا من سيدهم عزا واكراما لو افد ان يبسرو
بذلك وان لم ياذن لهم فيه ولا يكون في ذلك افشا
للسر بل هو من تعجيل البشري **الوجه الثاني
والعشرون** في الكلام علي لقيه لادم صلي الله
عليه وسلم في سما الدنيا وما وقع له معه وما راه عنده
ففي سلامه علي ادم دليل علي السنة ان القادم يبدا
بالسلام علي المقيم والمار علي القاعد لانه صلي الله
عليه وسلم كان مارا علي ادم عليه السلام وفي رد ادم
له عليه السلام وقوله له مرحبا دليل علي انه لا يشرع
في رد السلام غير الصيغة المعروفة لانه لم يقل له
مرحبا الا بعد رد السلام عليه علي ما جا في القصة
فرد عليه السلام ثم قال مرحبا وظاهر ما في القصة
انه سال عنه بعد ان قال له ادم مرحبا ورواية
مالك ابن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل
هذه عليها وليس في رواية ابي ذر ترتيب وفي قول
ادم مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح اشارة الي
افتخاره بابوة النبي صلي الله عليه وسلم وفي قوله له
الابن الصالح والنبي الصالح ثنا جميل للنبي صلي الله عليه
وسلم ووصفه بالصلاح مكررا مع النبوة اي الصالح
في المعنيين جميعا وفيه تنويه بفضيلة الصلاح
ولهذا وصف به النبي صلي الله عليه وسلم واقتصر علي

الانبيا

67

الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم الذين اجتمع بهم
وراهم في السموات تلك الليلة علي وصفه صلي الله
عليه وسلم وتواردوا عليه وكرره كل منهم عند وصفه
بالنبوة او الاخوة والنبوة لان الصلاح يشمل خصال
الخير والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق
الله تعالي وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة جامعة
شاملة لساير الخصال المحمودة ولذا لم يقل له احد
مرحبا بالنبي الصادق ولا بالنبي الامين **قال**
وصلاح الانبيا صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين
واحتج علي ذلك بانه قد تمني بعض الانبيا ان يلحق
بالصالحين ولا يتمني الاعلي الالحاق بالادني ولا
خلاف ان النبوة اعلي من صلاح الصالحين المضاف
الي الامم وصلاح الانبيا صلاح كامل لانهم يزول
بهم كل فساد فلهم كمال الصلاح ومن دونهم الامثل
فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح علي قدر
ما زال به او منه من الفساد وظاهر قوله في ادم
تعرض عليه ارواح ذريته الي اخره ان ارواح
بني ادم من اهل الجنة والنار في السما **قال**
القاضي وهو مشكل فقد جا ان ارواح المومنين
منعمة في الجنة وان ارواح الكفار في سجين فكيف
تكون مجتمعة في السما واجاب بانه يحتمل انها

تعرض علي ادم اوقاتا فصادف وقت عرضها مرور
النبي صلي الله عليه وسلم ويدل علي كونهم في الجنة
او النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالي
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض
بان ارواح الكفار لا تفتح لهم ابواب السما كما هو نص
القران واجيب عنه بما ابداه القاضي احتمالا بان الجنة
كانت في جهة يمين ادم والنار في جهة شماله وكان
يكشف له عنهما قال الحافظ ابن حجر ويحتمل علي
ان النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد بعد
وهذا هي مخلوقة قبل الاجساد بعد ومستقرها
عن يمين ادم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون اليه
فلذلك كان يستبشر اذا نظر الي من علي يمينه ويحزن
اذا نظر الي من عن شماله بخلاف التي في الاجساد
فليست مرادة قطعا وبخلاف التي نقلت من الاجساد
الي مستقرها من الجنة او النار فليست مرادة ايضا
فيما يظهر وبهذا يندفع الايراد ويعرف ان قوله نسم
بنيه عام مخصوص او عام اريد به الخصوص قال
وظهر احتمال اخر وهو ان يكون المراد بها من خرجت
من اجسادها حين خروجها لانها غير مستقرة ولا
يلزم من روية ادم لها وهو في السما الدنيا ان تفتح
لها ابواب السما ولا تلجها لانها تعرض عليه ويكشف

عنها

68

عنها من بعد ورويته لها كرويته لاكل الربا ومن
ذكر معهم فيحتمل انها روية الحال ارواحهم في البرزخ
بعد الموت وفي ذلك تصحيح لمن قال الارواح اجساد
لطيفة قابلة للتنعيم والعذاب ويحتمل ايضا ان تكون
مثلت له حالتهم في الاخرة **الوجه الثالث
والعشرون** في الكلام علي روية الانبيا المذكورين
في السموات وفي حكمة اختصاص كل نبي بالسما التي
التقاه فيها وفي تقيه حكمة رويته لهولا الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم دون غيرهم من الانبيا وقد
اختلفت الروايات في منازل الانبيا في السموات
ففي رواية انس عن ابي ذر قال فذكر انه وجد
في السموات ادم وادريس وموسي وعيسي وابراهيم
ولم يثبت كيف منازلهم وذكر ان ابراهيم في السادسة
وفي سياق الزهري في روايته عن انس عن ابي
ذر انه لم يثبت اسماوهم وسياق شريك فيه انه
لم يضبط منازلهم ووقع في رواية ان ادريس
في الثالثة وهارون في الرابعة وفي رواية
قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة عند
البخاري فيه ضبط لمنازلهم فذكر اسم كل نبي
والسما التي هو فيها كما هو مذكور في سياق
القصة انشا وكما سنتكلم عليه في حكمة ذلك ولا

شك ان رواية من ضبط اولي لاسيما وقد وافق
قتادة في روايته المذكورة ثابت البناني عن انس
عند مسلم ووافقهما يزيد ابن ابي مالك عن انس
الا انه خالف في ادريس وهارون بوصف فقال
هرون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم
ابو سعيد الا ان في روايته يوسف الثانية وعيسي
ويحيي في الثالثة والرواية الاولي المذكورة اثبت
وقد اختلف المتكلمون على حديث الاسرا في الحكمة
في اختصاص كل واحد من الانبيا بالسما التي راه
فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقيل لا حكمة
وانما الانبيا المذكورون لما علوا بقد ومه ابتدروا
الي لقايه ابتدا واهل الغايب للغايب القادم فمنهم
من اسرع وسبق ومنهم ابطا ولحق ومنهم من فاته
وهذا قاله ابن بطال وزيفه السهيلي فاصاب وقيل
بل لذلك حكمة اي حكمة وهو التنبيه علي الحالات
الخاصة بهولا الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
وتمثيل بما سيقع للنبي صلي الله عليه وسلم مع قومه
من نظير ما وقع لهم واتفق مما قصه الله تعالي عنهم
في كتابه والنبي صلي الله عليه وسلم كان يحب الفال
الحسن ويستدل به علي حسن العاقبة والفال في
اليقظة نظير الرويا في المنام فيكون تعبير الفال

بيان

بيان ما يدل علي يقظة كتعبير الرويا واهل التعبير
يقولون من راي نبيا من الانبيا بعينه في المنام
فان روياه تودن بما يشبه من حال ذلك النبي
من شدة اورخاي وهذا قاله السهيلي وتبعه غيره
عليه فحكمة رويته لادم في السما الدنيا لانه اول الانبيا
واول الابا وهو الاصل فكان الاول في الاولي ولاجل
تانيس البنوة بالابوة في اول انتقاله الي العالم العلوي
ووقع التنبيه به بما سيقع له صلي الله عليه وسلم من
نظير ما وقع لادم فانه كان في امن الله وجواره في
الجنة فاخرجه عدوه ابليس منها وهذه القصة
تشبهها الحالة الاولي من احوال النبي صلي الله عليه
وسلم وهي هجرته الي المدينة وخروجه من حرم
الله وجوار بيته وكان اعداوه سببا لخروجه لتمالئهم
علي ايذايه وتواطيهم علي ذلك وهمهم بقتله فكربه
ذلك وغمه وشق عليه لفراق ما الفه ووطنه كما وقع
لادم عند خروجه من الجنة من الكرب والغم والبكاء
علي فراقها فقد حكي عن بعض السادة انه راي ادم
صلي الله عليه وسلم في المنام فقال له انت ابو البشر
وتبكي علي مفارقة دار هي الجنة فانشد
شغفت بجار لا بدار الفتها علي الجار ابكي لا علي فرقة الدار
والحاصل ان الجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة

او غير ذلك من الامور التي
اخبرنا عن الانبيا في
القران او الحديث صح

وكراهته فراق ما الفه من الوطن ثم كان لكل منهما
ان يرجع الي وطنه الذي خرج منه وحكمة رويته
ولقيه لعيسي ويحيي في السما الثانية لانهما الممتحنا
باليهود اما عيسي فكذبته اليهود واذته وهموا
بقتله فرفعه الله واما يحيي فقتلوه ففيه الاشارة
الي نظير ما وقع له صلي الله عليه وسلم بعد انتقاله
الي المدينة فصار الي حالة ثانية من الامتحان
وكانت محنته فيها باليهود آذوه وعادوه وهموا
بالقا الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجي عيسي
منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتي
قطعت ابهره كما قال عند الموت وايضا فعيسي كانت
حالته وتمامه معالجة بني اسرايل والصبر علي عداوة اليهود
وحيلهم ومكرهم وطلب الانتصار عليهم بقوله من انصاري
الي الله اي مع الله قال الحواريون نحن انصار الله وكانت
حالته صلي الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة نظير
ذلك طلب الانصار للخروج الي بدر العظمي فاجابوه ونصروه
وحكمة رويته ليوسف صلي الله عليه وسلم في السما
الثالثة للاشارة الي حالة ثالثة تشبه حالة يوسف
وما جري له مع اخوته الذي اخرجوه من بين اظهرهم
ثم ظفر بهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم وكذلك
نبينا صلي الله عليه وسلم جري له مع قريش نصبوا له

للحرب وارادوا اهلاكه وكانوا سببا في اخراجه من
بين اظهرهم ثم ظفر بهم في غزوة الفتح فصفح عنهم وقال
اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وايضا
مناسبة لقيه في السما الثالثة ان الثالثة من سنين
الهجرة وقعت فيها غزوة احد ومما اتفق فيها من
المناسبة شيوع قتل النبي صلي الله عليه وسلم فناب
ما حصل للمسلمين من الاسف علي فقد نبيهم ما حصل
ليعقوب من الاسف علي يوسف لاعتقاده انه
فقد الي ان وجد ريحه بعد تطاول الامد ومن المنا
سبة
ايضا بين القصتين ان يوسف عليه السلام كيد
والقي في غيابة الجب حتي استنقذه الله علي يد من
شاو رسول الله صلي الله عليه وسلم وقع له في غزوة
احد ان اكبت الحجارة علي جبهته من قريش حتي سقط
لجنبه في حفرة كان ابو عامر الفاسق قد حفرها مكيدة
للمسلمين فاخذ علي كرم الله وجهه بيد رسول الله
صلي الله عليه وسلم واحتضنه طلحة حتي قام وفي
رواية مسلم انه صلي الله عليه وسلم لما اخبر برويته
ليوسف صلي الله عليه وسلم في الثالثة قال فاذا
هو قد اعطي شطر الحسن وفي رواية البيهقي وغيره
فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس
بالحسن كالقمر ليلة البدر علي ساير الكواكب فان قيل

هذا يدل علي ان يوسف كان احسن من جميع الناس
اجيب بان الترمذي روي من حديث انس ما بعث
الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
احسنهم صوتا واحسنهم وجها فيحمل ما في حديث
المعراج من قوله اعطي شطر الحسن واحسن ما خلق
الله الي اخره علي غير نبينا عليه الصلاة والسلام وحمل
بعضهم قوله اعطي شطر الحسن علي ان المراد علي ان
يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلي
الله عليه وسلم وفيه نظر لان حقيقة الحسن الكامل
كامنة فيه لانه الذي تم معناه دون غيره فهي غير
منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما
لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما ولله
در ابو اصيري حيث اشار الي ذلك بقوله في البردة
فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا
باري النسم منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسم وقد قال بعض
العلما ان من تمام الايمان به صلي الله عليه
وسلم الايمان بان الله تعالي جعل خلق بدنه الشريف
علي وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق ادمي مثله فيكون
ما نشاهده من خلق بدنه ايات علي ما يتضح من
عظيم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظيم اخلاق

نفسه

٧١

٧١

نفسه ايات علي ما تحقق له من سر قلبه المقدس
وقد حكي القرطبي في كتاب الصلاة عن بعضهم انه لما
قال لم يظهر لنا تمام حسنه وانه لو ظهر لنا لما اطاقت
اعيننا رويته صلي الله عليه وسلم ولقد احسن ابو ا
صيري ايضا حيث قال اعيي الوري فهم معناه
فليس يري للقرب والبعد فيه غير منفحم كالشمس
تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من امم
وهذا مثل قوله ايضا انما مثلوا صفاتك للناس
كما مثل النجوم الما والتشبيهات الواردة في حقه
صلي الله عليه وسلم كما هنا في قوله كالشمس تظهر الخ
وقوله كما مثل النجوم الما ونحو ذلك انما هي علي سبيل
التقريب والتمثيل والا فذاته اعلا واغلا وحكمة رويته
لادريس عليه الصلاة والسلام في السما الرابعة وهو
المكان الذي رفعه الله اليه وسماه مكانا عليا للايذان
بجلالة رابعة وهي علو شانه ومنزلته صلي الله عليه
وسلم وللاشارة الي احرازه صلي الله عليه وسلم لخصا
فان المنقول ان ادريس اول من كتب بالقلم وانتشر
منه بعده في اهل الدنيا وكتب الي الملوك يدعوهم
الي التوحيد وقاتل بني قابيل فكذلك نبينا صلي
الله عليه وسلم اتخذ الكتاب والخاتم وكتب عنه
بالقلم الي ملوك الافاق وعند استفحال الاسلام هو

يصه

هرقل حين جاه كتاب
رسول الله صلي الله عليه وسلم

صح

يدعوهم الي طاعته وخافته الملوك حتي قال ابوا
سفيان بن حرب وهو عند ملك الروم ورأي ما راي
من خوف هرقل قال لقد امري اشتد امر ابن ابي
كبشة حتي اصبح تخافه ملوك بني الاصغر فمن الملوك
المكتوب اليهم من اتبعه علي دينه كالنجاشي وملك
عمان ومنهم من هادنه واهدي اليه كهرقل والمقوقس
ومنهم من تعصي عليه فاظفره الله به فهذا مقام علي
وخط بالقلم كنحو ما اوتي ادريس صلي الله عليه وسلم وقوله
في ادريس قد رفعه الله مكانا عليا مع انه راي موسي وابراهيم
في مكان اعلا من مكان ادريس فلعل ذلك والله اعلم لما ذكر
من كعب الاحبار ان ادريس خص من بين جميع الانبيا
بانه رفع قبل وفاته الي السما الرابعة رفعه ملك كان
صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس وكان ادريس
ساله ان يريه الجنة فاذن الله له في ذلك فلما كان
في الرابعة راه هناك ملك الموت فتعجب وقال امرت
ان اقبض روح ادريس في السما الرابعة فقبضه هناك
فرفعه حيا الي ذلك المقام خاص به دون الانبيا قال
السهيلي وقال البدر العيني في شرح البخاري فان قلت
قال بعضهم ان ادريس في الجنة يدل عليه قوله تعالي
ورفعناه مكانا عليا قيل المكان العلي هو الجنة **قلت**
سمعت بعض مشايخي الثقات يقول ان ادريس لما

اخبر

اخبر بخروج النبي صلي الله عليه وسلم استاذن ربه ان
يستقبله فاذن له فاستقبله ولقيه في السما الرابعة
انتهي فان كان ادريس اختص بانه ادخل الجنة فقد
شاركه النبي صلي الله عليه وسلم في ذلك وزاد عليه
بانه دخلها حيا وادريس انما دخلها بعد ان مات
بل زاد عليه صلي الله عليه وسلم في الارتفاع الي اعلا
الجنان وارفع الدرجات وهذا غاية البيان فيما نحن
بصدده من المناسبة وقول ادريس له مرحبا بالاخ
الصالح استشكل بانه اب من ابا النبي صلي الله عليه وسلم
وانه جد اعلا لنوح فكيف خاطبه بالاخ ولم يخاطبه بالابن
كما قال ادم وابراهيم عليهما الصلاة والسلام **واجيب**
بانه قد قيل عن ادريس انه الياس وانه ليس بجد لنوح
ولا هو في عمود النسب وقال النووي ليس في ذلك ما يمنع
كون ادريس ابا لنبينا صلي الله عليه وسلم فان قوله
الاخ الصالح قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابنا
والانبيا اخوة والمومنون اخوة وقال ابن المنير اكثر
الطرق علي انه خاطبه بالاخ وقال لي ابن ابي الفضل
صحت لي طريق انه خاطبه فيها بالابن الصالح **قال بعضهم**
وفي صحة ذلك نظر وحكمة رويته لهارون صلي الله
عليه وسلم في السما الخامسة الايذان باحرازه خصايصه
والزيادة عليه فمن خصايص هارون عليه السلام

فصاحة اللسان وقد وصفه موسى عليه السلام بذلك
فقال هو افصح مني لسانا الاية وقد حاز نبينا صلى الله
عليه وسلم المرتبة العليا من الفصاحة ولا خفا بان
افصح اللغات لغات العرب وغاية لسان هارون
وفصاحته في العبرانية والعربية افصح منها ثم هو
صلى الله عليه وسلم افصح من نطق بالضاد من بين
اهل اللغات العربية ولان هارون كان محببا في قومه
فيوذن بحب قريش وجميع العرب له صلى الله عليه وسلم
بعد بغضهم له وللاشارة الى حصول له صلى الله عليه وسلم
تشبه حالة حصلت لهارون عليه الصلاة والسلام مع
بني اسرايل مما ناله منهم من الاذى ثم الانتصار عليهم
والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من
العقوبات المخطة عنه وذلك ان هارون عند ما تركه
موسى في بني اسرايل وذهب لموعد المناجاة تفرقوا على
هارون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا
العهد واخلفوا الوعد واستضعفوا جانبه كما حكى
الله ذلك عنهم وكانت الخيانة العظمى التي صدرت منهم
عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل
في ساعة واتفق في السنة الخامسة من الهجرة من يهود
قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا
الاحزاب واجمعوها واظهروا عداوته صلى الله عليه وسلم

واراد وا

73

وارادوا قتله وذهب اليه قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم
في دية قتيلين فاظهروا اكرامه واجلسوه تحت جدار ثم
تواعدوا ان يلقوا عليه رحى فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام فاخبره بمكرهم الذي هموا به فمن حينيذ عزم
على حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة
بتحكيمهم سعد بن معاذ فقتلوا اشر قتله وحاق المكر السي
باهله ونظير استضعاف اليهود لهارون عليه السلام
استضعافهم بالمسلمين في غزوة الخندق وحكمة رويته
ولقيه موسى صلى الله عليه وسلم في السما السادسة الايذان
بحصول حالة له صلى الله عليه وسلم تشبه حالة موسى
مما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك صلى الله
عليه وسلم بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر
وللاشارة الى مناسبة اخص تتعلق برويته له في السما
السادسة وذلك ان موسى اراد ان يقيم الشريعة في
الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه
وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى
يخرجوا منها وفي الاخر تحجوا بالقنوط فقالوا انا لن
ندخلها ابدا ما داموا فيها فغضب عليهم وحال بينهم
وبينها واوقعهم في التيه وال امره الى قهر الجبابرة
واخراجهم من ارضهم وكذلك اراد النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السنة ان يدخل بمن معه مكة يقيم بها

شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه فلم يدخلها في هذا
العام ثم ادخلها في العام القابل وان امره صلي الله عليه
وسلم الي ان فتح مكة وقهر المتجبرين والمستهزئين من
قريش فكان لقاه لموسي تنبيها علي التاسي به وحصول
حالة له تشابه حالة موسي صلي الله عليه وسلم وما وقع
في القصة من ان موسي لما جاوزه نبينا صلي الله عليه
وسلم بكي فقيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث
من بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخل الجنة
من امتي فاما البكا من موسي فقال العلما لم يكن
حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع
عن احاد المومنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالي
وعصمه بل كان اسفا علي ما فات امته من بني
اسرايل من حظهم من الله عز وجل حيث قل الايمان
فيهم وندر القبول وفشا الطغيان والنكول واسفا ايضا
علي ما فات موسي مما فاز به محمد صلي الله عليه وسلم
من كثرة الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب
ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص
اجورهم المستلزمة لا لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل
اجر من تبعه وكان من تبعه من العدد دون من
تبع نبينا صلي الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة
الي مدة هذه الامة والبكا علي فوات الحظوظ الاخروية

سنة

74

سنة متبعة وعلي مثل هذا يناح ويبكي وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون والظاهر ان القايل لموسي ما يبكيك هو
الله سبحانه وتعالي ويدل علي ذلك قوله في الجواب
كما في بعض الروايات يا رب قاله بن ابي جمرة واما
قول موسي صلي الله عليه وسلم غلاما فليس ذلك
علي سبيل الغضة والتنقيص بل علي سبيل التنويه
بقدرة الله تعالي وعظيم كرمه اذ اعطي لمن كان في
ذلك السن ما لم يعطه احدا من قبله ممن هو اسن
منه قال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن
غلاما ما دامت فيه بقية من القوة وقال ابن ابي
جمرة العرب انما يطلقون علي المرء غلاما كان سيدا
فيهم فلاجل ما في هذا اللفظ من الاختصاص والاشعار
بالافضلية دون غيره من الالفاظ ذكره موسي
وكان لم يذكر غيره تعظيما للنبي صلي الله عليه وسلم وقال
الحافظ بن حجر ويظهر لي ان موسي اشار الي ما انعم
الله به علي نبينا صلي الله عليه وسلم من استمرار
القوة في الكهولة الي ان دخل في اول سن الشيخوخة
ولم يدخل في بدنه هرم ولا اعتري قوته نقص حتي
ان الناس لما راوه مردفا ابا بكر عند قدومه
المدينة اطلقوا عليه اسم الشاب وعلي ابي بكر اسم
الشيخ مع كونه في العمر اسن من ابي بكر وفي اسا ك

موسي عن البكي وعما وقع عنه من الكلام حتي فارقه
النبي صلي الله عليه وسلم مراعات لجانب نبينا صلي الله
عليه وسلم وبشارة له وادخال السرور عليه ويشهد
لذلك بكاوه قبل ان يبعد النبي صلي الله عليه وسلم
عنه لانه لو كان البكا مختصا بموسي لم يكن ليبكي حتي
يبعد عنه بحيث لا يسمعه فلما كان المراد به ما ينشا
عنه من السرور والبشارة بكي والنبي صلي الله عليه
وسلم منه بحيث يسمعه والبشارة وهي قول موسي
يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل من امتي ونحو
ذلك وقد وقع من موسي العناية بهذه الامة من
امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة الي ذلك
في حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار كان
موسي اشدهم علي حين مررت به وخيرهم حين
رجعت اليه وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا
فمررت بموسي ونعم الصاحب كان لكم الحديث وحكمة
رويته ولقيه لابراهيم صلي الله عليه وسلم في السما
السابعة لانه الاب الاخير فناسب ان يتجدد للنبي
صلي الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعد الي
عالم اخر وايضا فمنزلة الخليل تقتضي ارفع المنازل ومنزل
الحبيب ارفع من منزلته فلذلك ارتفع النبي صلي الله
عليه وسلم من منزلة ابراهيم الي قاب قوسين او ادني

وللقيه

وللقيه ابراهيم في السابعة مناسبة لحري لحض من
ذلك وهي ان النبي صلي الله عليه وسلم اعتمر عمرة
القضا في السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو
واصحابه ملبيين معتمرين محييا لسنة ابراهيم صلي
الله عليه وسلم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية
اماتت ذكره وبدلت امره وفي بعض الطرق انه راي
ابراهيم مسندا ظهره الي البيت المعمور في السما
السابعة فكان ذلك والله اعلم اشارة الي انه يطوف
بالكعبة في السنة السابعة وهي اول دخلة دخلها
مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة البيت المعمور
وفي قوله صلي الله عليه وسلم في وصف البيت المعمور
فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة
لا يرجعون اليه الي اخر الدهر اشارة الي انه اذا هو
دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لا يدخله بعد الهجرة
الا يوم الفتح ثم لم يعاود الا في حجة الوداع فان قيل
لم لم يرا النبي صلي الله عليه وسلم تلك الليلة في السما
نوحا عليه السلام وهو من اولي العزم قلت سمعت
من بعض مشايخي رحمهم الله تعالي يقول انما لم ير نوحا
ونحوه لانه الليلة رحمة فناسب ان لا يري فيها من
استوصل قومه بالعذاب وفي سواله صلي الله عليه
وسلم من جبريل عن كل واحد من الانبيا الذين راهم

في السموات بقوله من هذا يا اخي يا جبريل فيقول
هذا ابوك ادم الى اخره اشكال وهو ان يقال كيف اجتمع
بالانبيا في بيت المقدس وسلم عليهم وعرفهم ثم يسال
عنهم تلك الليلة حين راهم في السموات من جبريل
فانه لو راهم وعرفهم قبل ذلك لما احتاج الى سوال
جبريل عنهم ويجاب بانه يحتمل انه راهم ببيت المقدس
على حالة من تصور الارواح بصور الاجساد او من حضور
الاجساد بالارواح ثم لما راهم في السما راهم على حالة
غير الحالة التي راهم عليها في الارض فلذلك سال عنهم
او انه راهم في الموضعين على حالة واحدة لكن
لما شاهدهم تلك الساعة في الارض ثم راهم في منازلهم
في السما سال عنهم تعظيما للقدرة الالهية واستثباتا
لا تعجبا فانه عالم ان الله الذي اوصله الى هذا الكمال
في لحظة قادر على نقلهم الى السموات في اسرع من
طرفة عين سبحانه وتعالى **الوجه الرابع والعشرون**
في الكلام على البيت المعمور وقال ابو عبيد ومعنى
المعمور الكثير الغاشية ويسمى ايضا الضراح بضم الضاد
المعجمة وتخفيف الرا والحاء مهملة وهذا هو المشهور وربما
قيل ان بالصاد المهملة فغلطوا بالضراح تسمية الملايكة
وسمي به لانه ضرح عن الارض اي بعد وقال مجاهد
البيت المعمور هو الضريح يعني بالحبشية وهو في اللغة

البعيد

البعيد واكثر الروايات انه في السما السابعة وروى
ابن جريج وغيره والحاكم وصححه عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور في السما السا بعة
بحيال ويدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه حتى تقوم الساعة وروى اسحاق بن راهويه في
مسنده عن علي رضي الله تعالى عنه انه سيل عن
البيت المعمور فقال بيت في السما بحيال البيت حرمته
كحرمة هذا في الارض يدخله كل يوم سبعون الف
ملك ولا يعودون اليه واخرجه الطبراني من
حديث انس مرفوعا واستدل بهذين الحديثين
وغيرهما على ان الملايكة اكثر المخلوقات لانه
لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه
في كل يوم سبعون الفا غير ما ثبت في ذلك واخرج
ابو الشيخ من طريق الليث قال حدثني خالد بن
سعيد قال بلغني ان اسرافيل موذن اهل السماء
يسمع تاذينه من في السموات السبع ومن في الام
الجن والانس ثم يتقدم عظيم الملايكة فيصلي بهم
قال وبلغنا ان ميكاييل يوم الملايكة بالبيت
المعمور **فايدة** نقل الحافظ البرهان الحلبي في
نور النبراس عن سيرة ابن سيد الناس ان السلطان
الظاهر برقوق سال عن البيت المعمور من اي شي

صوقال فاجاب بعض الحاضرين بانه من عقيق ونقله
عن بعض التفاسير انتهى **الوجه الخامس والعشرون**
في الكلام على سدرة المنتهى والسدر شجر النبق واحده
سدرة وقيل لها المنتهى لانها ينتهي اليها ما يهبط من
فوقها فيقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الارض
كما رواه مسلم عن عبد الله ابن مسعود وقيل غير ذلك
قال ابن دحية اختيرت السدرة دون غيرها لان فيها
ثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورايحة ذكية
فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية
فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرايحة
بمنزلة القول وقد وقع في حديث بن مسعود عند
مسلم ان السدرة في السما السادسة وظاهر حديث
انس انها في السابعة قال القرطبي وهو تعارض
لاشك فيه وحديث انس قول الاكثر وهو الذي
يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي اليها علم كل نبي
مرسل وكل ملك مقرب ويترجح ايضا بانه مرفوع
وحديث بن مسعود موقوف **قال** الحافظ بن حجر
كذا قال يعني القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض
ولا يعارض قوله انها في السادسة ما دلت عليه بقية
الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السما السابعة
لانه يحمل على ان اصلها في السما السادسة واغصانها

وفروعها

وفروعها في السما السابعة وليس في السما السادسة
منها الا الاصل ساقها قال ابن ابي جمرة والاظهر ان شجرة
المنتهى مغروسة بالارض بدليل قول ونهران باطنان
ولا يطلق هذا اللفظ وما اشبهه الا على ما يفهم والباطن
لابد ان يكون سريانه تحت شي وحينيذ يطلق عليه
اسم الباطن وقال القاضي عياض رحمه الله دل الحديث
على ان اصل شجرة المنتهى في الارض لكونه على ان النيل
والفرات يخرجان من اصلها وهما بالمشاهدة يخرجان
من الارض فيلزم منه ان يكون اصل السدرة في
الارض وتعقبه النووي بان المراد بكونه يخرجان
من اصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل
ان اصلها من الجنة وهما يخرجان اولا من اصل السدرة
ثم يسيران الى ان يستقرا في الارض ثم ينبعان وما
وقع في القصة من قوله واذا في اصلها اربعة انهار
نهران باطنان ونهران ظاهران وقول جبريل لما
سئل عنها اما الباطنان فنهران في الجنة واما
الظاهران فالنيل والفرات قال ابن ابي جمرة في
قول جبريل هذا دليل على ان الفرات والنيل ليسا
من الجنة والسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال
انهما يخرجان منها بعد نبعهما من السدرة وهذا
معارض لما رواه مسلم عن ابي هريرة مرفوعا سيحان

وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة والجمع فيهما
والله اعلم ان الفرات والنيل منبعهما في السدرة واذا
نزلا الي الارض يسلكان اولا على الجنة فيدخلا نهما
ثم بعد ذلك ينزلان الي الارض انتهى وفيه نظر
ظاهر قوله يسلكان اولا على الجنة انهما انما كان
من انهار الجنة باعتبار المرور والسلوك عليها
لا بكونهما دايما فيها وظاهر الحديث وقول السلف
يخالف ذلك فقد اخرج الحارث في مسنده والبيهقي
في الشعب عن كعب قال نهر النيل نهر العسل في الجنة
ونهر دجلة نهر اللبن ونهر الفرات نهر الخمر ونهر
سيحان نهر الما وقد استدل على فضيلة النيل والفرا
لكون منبعهما من الجنة وانهما ينبعان من اصل
سدرة المنتهى بخلاف غيرهما وان كان من انهار
الجنة كسيحان وجيحان فلا ينبعان من اصل السدرة
فامتاز النيل والفرات عليهما بذلك فان قيل قد
وردت الاخبار بان من شرب من ما الجنة لا يموت
ولا يفنى وانه ليس له فضلة تخرج على ما يعهد في
دار الدنيا وانما خروجه رشحان مسك على البدن
واما النيل وما ذكر معه من المياه التي ورد انها
من انهار الجنة ليس فيها هذه الاشيا المذكورة نعم
اجيب عن ذلك بان الله تعالى جعل في ما الجنة

هذه

هذه الخاصة العظمى ثم لما شات الحكمة الالهية بنزوله
الي هذه الدار نزعت منه تلك الخصوصية وبقي
جوهره بحاله وكل الخواص مثله في هذا المعنى ان شا
الله عز وجل ابقا له الخاصية وان شا سلبها مع بقا
جوهرها ليس لذوات الخواص تاثير بل الخاصة خلقه
والجوهر خلقه وانما القدرة هي الموثرة في كلها قاله
ابن ابي جمرة واما النهران الباطنان في الجنة فقال
مقاتل هما السلسبيل والكوثر **فايدة اخرج** ابو
نعيم والضيا عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلكم تظنون ان لا انهار الجنة اخدودا
في الارض لا والله انها السايحة على وجه الارض
انتهى والاخدود شق في الارض مستطيل وقوله
وانا نبقها مثل قلال هجر فنبقها بفتح النون وكسر
الموحدة وهذا هو الذي ثبت في الرواية وان جاز
سكون الموحدة والنبق معروف وهو ثمر السدر
والقلال بالكسر جمع قلة بالضم وهي الجرار الواحدة
تسع قربتين او اكثر وهجر بفتح الها والجيم بلدة بقرب
المدينة الشريفة يريد ان ثمر السدرة في الكبر
مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين وقوله
واذا ورقها مثل اذان الفيلة بكسر الفا وفتح التحتية
بعدها لام جمع فيل ولا منافاة بين ذلك وبين قوله

تكاد الورقة تغطي هذه الامة لان المراد التشبيه في الشكل
خاصة لا في الكبر وقوله في السدرة يغشاها فراش
وفي رواية جراد من ذهب وهو المراد بالفراش **قال**
البيضاوي ذكر الفراش والجراد وقع على سبيل التمثيل
من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها
من الذهب لصفا لونها واضاتها في نفسها وقال الحافظ
ابن حجر يجوز ان يكون من الذهب حقيقة ويخلق الله
تعالى فيه الطيران والقدرة صالحة لذلك انتهى
تتمة عد بعضهم رفع النبي صلى الله عليه وسلم
الى سدرة المنتهى معراجا ثانيا بالنسبة الى السموات
السبع وسال عن حكمة هذا المعراج الثاني الى سدرة
المنتهى للسنة الثامنة من الهجرة واجاب بان وجه
ذلك والله اعلم ان السنة الثامنة لما اشتملت على
فتح مكة وهي ام القرا واليها المنتهى ومنها المبتدا على
ما ورد ان الارض كلها دحيت من مكة فلذلك سميت
ام القرى او هي ام القرى لان اهل القرى يرجعون
اليها في الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا
واتجارا ففي سدرة المنتهى وام القرى من المناسبة
ما لا يخفى اذ سدرة المنتهى اليها علم الخلايق ومكة
ينتهي اليها اهل الافاق شرقا وغربا وفيها يكون
الاجتماع فكان بلوغه الى سدرة المنتهى تنبيها على

بلوغه

بلوغه الى فتح مكة في العام الثامن وقد غشيها الجراد
والفراش الذي هو جند من جند الله كما غشي مكة
في الفتح جند الله وحزبه وغشيها ايضا اجناس من
الخلق والوان من الاسود والاحمر كما غشي سدرة
المنتهى الوان لا يعلمها الا الله تعالى ولما غشيت
الالوان السدرة حسنت الى ان لا يحسن احد ان ينعتها
لفرط الحسن كما ان الوان الخلق لما غشيت
مكة يوم الفتح حسنت حينئذ بالايمان وبا هل القران
حتى لا يحسن احد ان يصف حالها حينئذ من عظم
الشان **الوجه السادس والعشرون** في الكلام
على رويته صلى الله عليه وسلم الجنة والنار وما
يتعلق بذلك قوله في القصة ثم اخذ على الكوثر
حتى دخل الجنة قال الامام العز ابن عبد السلام
في تفسيره في هذا الحديث دليل على ان السدرة
ليست في الجنة وجزم به ابن ابي جمرة كما اشير اليه
فيما سبق وقال ابن دحية ثم هنا ليست للترتيب
كما في قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا وانما هي
هنا مثل الواو للجمع والاشتراك فهي بذلك خارجة
عن اصلها قال ابن اقبرس في شرح الشفا وهو خلاف
الظاهر وفي غرض الجنة عليه صلى الله عليه وسلم
قال ابن دحية كرامة عظيمة لانه كان يحرض المحبة

علي امته ليبشرو ها كما قال عن ربه تبارك وتعالي
ان الله اشتري من المومنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة الاية فاراد الله تعالي ان يعاين النبي صلي
الله عليه وسلم ما يعرضه علي امته ليكون وصفه
لها عن مشاهدة ويحتمل انه انما اراه اياها ليعلم
خسة الدنيا في جنب ماراه فيكون في الدنيا ازهد
وعلي الشدايد اصبر حتي تو ديه الي الجنة ويحتمل ان
الله تعالي اراد ان لا يكون لاحد كرامة الا ان كان لمحمد
صلي الله عليه وسلم مثلها ولما كان لادريس كرامة
دخول الجنة قبل يوم القيامة اراد الله سبحانه وتعالي
ان يكون لصفيه ونجيه محمدا صلي الله عليه وسلم
وقوله في القصة فراي علي بابها يعني الجنة مكتوبا
الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر
قال بعض العلما في توجيه كون درهم القرض
بثمانية عشر ان درهم القرض بدرهمين من دراهم
الصدقة كما ورد ودرهم الصدقة بعشرة ودرهم
القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين
من جملة مبلغ اصله وهو عشرون يتاخر للمقرض
ثمانية عشر وفي هذا قوله صلي الله عليه وسلم
يا جبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال
لان السايل يسال وعنده والمستقرض لا يستقرض

الا

في الاس حاجة دليل علي افضلية القرض علي الصدقة
لكن رجح كثيرون الصدقة عليه لما ورد في الصدقة من
الدلايل الكثيرة المشهورة وقوله واذا فيها يعني الجنة
جنابذ اللولو بجيم ونون مفتوحتين ثم الف ثم با
ثم ذال معجمة وهي القباب وقوله واذا رمانها كالدلي
جمع دلو وقوله واذا بطيرها كالبخات جمع بختي وقوله
ثم عرضت عليه النار انما عرضت عليه كما قال ابن
دحية ليكون في القيامة اذا قال ساير الانبيا نفسي
نفسي ونبينا صلي الله عليه وسلم يقول امتي امتي
وذلك حين فيح جهنم لانهم لم يروا قبل يوم القيامة
شيا منها فاذا راوها جزعوا وكفت السنتهم عن
الخطبة والشفاعة من هولها وشغلتهم عن اممهم
وهو صلي الله عليه وسلم قد راجميع ذلك فلا
يحصل له مثل ما حصل لهم ليقدر علي الخطبة وهو
المقام المحمود وان الكفار لما كانوا يكذبونه ويوذونه
اشد الاذا اراه الله تعالي النار التي اعدها للموذين
والمستحقين به وبامره تطييبا لقلبه وتسكينا
لفواده والاشارة في ذلك الي تطييب قلبه في شان
اعدايه بالاهانة والانتقام فاولي ان يطيب قلبه
في شان اولبايه بالشفاعة والاكرام وليعلم من نجاه
الله عليه حين انقذهم منها ببركته وشفاعته

وقوله وراي ملكا خازن قيد النبي صلي الله عليه
وسلم بالسلام قال السهيلي لم يره علي الصورة التي
يراه عليها المعذبون في الاخرة ولو راه علي تلك
الصورة ما استطاع ان ينظر اليه قال الطيبي انما
بدا مالك بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف
منه بخلاف سلامه علي الانبيا ابتدا كما سبق انتهي
وقد وقع في رواية ان النبي صلي الله عليه وسلم
بدا مالكا بالسلام لكن الرواية الاولي اصح اسنادا
من هذه ويحتمل ان يقال لو ورود هذه الرواية
ان النبي صلي الله عليه وسلم راه اكثر من مرة ففي
الاولي بدا مالك النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام
وفي الثانية بداه النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام

الوجه السابع والعشرون في الكلام علي
المستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام فالمستوي
بفتح الواو والتنوين موضع مشرف وهو المصعد
وقيل المكان المستوي واللام في قوله لمستوي
للتعليل اي ارتفعت لاستعلا مستوي او لرويته
او لمطالعته ويحتمل ان تكون متعلقة بالمصدر
اي ظهرت ظهور المستوي ويحتمل ان تكون بمعني
الي وفي رواية بمستوي بالبا وهي ظرفية وصريف
الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الرا وبالفا قال

النووي وغيره

النووي وغيره هو صوت حركتها وجريانها علي
المكتوب فيه من اقضية الله ووحيه وما ينسخونه
من اللوح المحفوظ او ما شا الله تعالي من ذلك ان
يكتب ويرفع لما اراده من امره وتدبيره وفي ذلك
حجة لاهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي
والمقادير في كتاب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام
التي هي يعلم جنسها وكيفيتها علي ما جات به
الايات في كتابه والاحاديث الصحيحة وما جا من
ذلك علي ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه
مما لا يعلمه الا الله تعالي ومن اطلعه الله علي شي من
ذلك من ملايكته ورسله وما يتاول هذا ويحيله الي
ضعيف النظر والايمان اذ جات به الشريعة
ودليل المعقول لا يحيله والله تعالي يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد حكمة من الله واظهار لما يشا من غيبه
لمن يشا من ملايكته وساير خلقه والا فهو غني الكتب
والاستذكار سبحانه وتعالي قاله القاضي عياض
وقال ابن المنير قد علم ان الاقلام انما تكتب الاقدار
لمقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وجات
الاخبار بان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف
القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه
الكتابة المجددة في صحف الملايكة كالفروع المنتسخة

من الاصل وفيها المحو والاثبات على ما ورد في الاثر ه
واصل اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه اللوح هو علم ه
الغيب القديم في ازل القدم وهو الذي لا محو فيه ولا
اثبات حيث لا لوح ولا قلم قال القرطبي في المفهم ولعل
الاقلام الموصوفة هنا هي المعبر عنها بالقلم المقسم به
في قوله ن والقلم ويكون القلم هنا للجنس **فان**
قلت ما المناسبة بين هذا المعراج التاسع وبين العام
التاسع من سنين الهجرة قلت كان في العام التاسع غزوة
تبوك وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة
الي الشام في العدة الذي لم يتم قبله مثله كان العدد
فيها ثلاثين الفا وكانت الشقة بعيدة ولهذا لم ينزل
فيها بل اعلم الناس بتوجههم ليكونوا تاهبهم بحسب
ذلك ومع هذا الاجتهاد في الاستعداد لم يلق النبي صلى
الله عليه وسلم فيها حربا ولا افتتح بلدا وذلك لان اجل
فتوح الشام لم يكن حل بعد فانفسخ العزم بالقدر وجاف
القلم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى
المسلمين الوقار والسكينة من غير اضطراب عند
انصراف العزيمة انتهي **الوجه الثامن والعشرون**
في الكلام على الرفرف والسحابة وما يتعلق بذلك اعلم
ان الامام بن المنير قال في كتابه المقتفى في شرف المصطفى
ان سنين الهجرة العشر جعلتها مطابقة للمعاريج التي كانت

ليلة

82

ليلة الاسرا وتقابله لها بالمناسبة وقد كانت المعاريج ليلة
اذ عشرا على عدد سنين الهجرة منها سبعة معاريج الي السموات
السبع والثامن الي سدرة المنتهي والتاسع الي المستوي
الذي سمع فيه صريف الاقلام من تصاريف الاقدار
والعاشر الي العرش والرفوف والروية وسماع الخطاب
وهو حقيقة اللقا ولهذا ختمت سنين الهجرة العشرة
بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله كما ختمت معاريج الاسرا
باللقا والحضور بحضرة الحضور المقدس على ما تقدم الكلام
عليه في الحديث التام ثم انه ذكر مناسبة تلقيه لكل نبي
في السما التي هو فيها الي انتها السموات ثم ذكر مناسبة
المعراج الثامن وهي سدرة المنتهي الي السنة الثامنة
ثم مناسبة المعراج التاسع وهو المستوي الي السنة
التاسعة وقد اشرنا الي شي من ذلك من كلامه وكلام
غيره ثم قال المعراج العاشر الي الرفوف وحينئذ لقي
الله عز وجل بحضرة القدس وقام بمقام الانس ورفع
الحجاب وسمع الخطاب وكان قاب قوسين او ادنى ه
لا بالصورة ولكن بالمعنى والمناسبة بين هذا المعراج
العاشر وبين العام العاشر من سنين الهجرة امرين
واضح اذ اجتمع في هذا العام اللقاان اللذان احدهما
لقا البيت وحج الكعبة ووقوف عرفة واكمال الدين واتمام
النعمة على المسلمين واللقا الثاني لقارب البيت

وكانت فيه الوفاة واللقا والانتقال من دار الفنا الى دار
البقا والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى
الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي
الا لعبد واحد اختاره الله تعالى على خلقه وهو محمد صلى
الله عليه وسلم كما ورد في صحيح الخبر انه سئل عن الوسيلة وهي
المنزلة الرفيعة التي لا تنبغي الا لعبد واحد من عباد الله وارجوا
ان اكون انا ورجاوه صلى الله عليه وسلم محقق واملة مصدق
وخاطره موفق انتهى قوله ان المعراج العاشر الى العرش
والرفرف الى اخره، في ذكر عروجه الى العرش نظر لانه لم يرد
في احاديث المعراج الثابتة انه صلى الله عليه وسلم عرج به
الى العرش تلك الليلة بل لم يرد في حديث انه صلى الله عليه
وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتها اليها وفي بعض الاحاديث
لم يذكر السدرة بل ذكر فيها انه انتهى الى مستوى سمع فيه
صريف الاقلام فقط واما الرفرف فيحتمل ان المراد به السحابة
التي غشيته وفيها من كل لون التي رواها ابن ابي حاتم
عن انس وعندها غشيته تاخر عنه جبريل صلى الله
عليه وسلم لكن ظاهر السياق والقصة يقتضي انها قبل
عروجه الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام نعم
وصنيع تعداد ابن المنير للمعاريج يخالف ذلك فلو
جعل المعراج العاشر هو حضرة القدس التي حصل فيها
اللقا والمناجاة والروية وحذف العرش والرفرف لكان

اولى

اولى لما ذكرنا **تتمة** لهذا الوجه وهو انه سئل الشيخ
الامام رضي الدين القزويني رحمه الله عن وطي النبي
صلى الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله
لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب
بما نصه اما حديث وطي النبي صلى الله عليه وسلم
العرش بنعله فليس بصحيح وليس بثابت بل وصول
النبي صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت
في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما صح في الاخبار
انتهاوه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما وراءها
لم يصح وانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج
عليها والله تعالى اعلم بالصواب وقد رايت بخط بعض
المحدثين بعد نقله كلام الشيخ رضي الدين المذكور
ما نصه ملخصا اقول ما ذكره الشيخ رضي الدين رحمه
الله عن نحو اربعين صحابيا وليس في حديث احد
منهم انه صلى الله عليه وسلم كان في تلك الليلة
في رجله نعل وانما ذلك شي وقع في نظم بعض
قصاص الجهلة ولم يذكر العرش بل قال واتي البساط
فهم بخلع نعله فنودي لا تخلع الى اخره وهذا باطل
لم يذكر في شي من الاحاديث بعد الاستقرا التام
ولم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه
صلى الله عليه وسلم جاوز سدرة المنتهى بل انتهى اليها

هو الصواب وقد وردت
قصة الاسرا والمعراج
مطولة ومختصرة عن نحو

كما في اكثر احاديث المعراج وفي بعضها لم يذكر السدرة
بل ذكر فيها انه انتهي الي مستوي سمع فيه صريف
الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه البيان
واني له بذلك ولم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف انه
صلي الله عليه وسلم رقي العرش وما وقع في بعض
الاحاديث المختلفة التي افتراها بعضهم لا يلتفت
اليه ولا اعلم خبرا ورد فيه انه صلي الله عليه وسلم
راي العرش الا ما رواه بن ابي الدنيا عن ابي المخارق قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال مررت ليلة الاسرا
برجل مغيب في نور العرش قلت من هذا املك قيل لا قلت
نبي قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان في الدنيا لسانه
رطب من ذكر الله وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب
لوالديه فقط وهو حديث مرسل لا تقوم به الحجة في
هذا الباب وما ذكره السائل يعني المتقدم من انه
صلي الله عليه وسلم رقي العرش بنعله فقاتل الله من
وضعه ما اعدم حياه وادبه وما اجراه علي اختلاق
الكذب علي سيد المتادبين وراس العارفين صلي الله
عليه وسلم والله تعالى اعلم انتهى ملخصا **الوجه التاسع**
والعشرون في الكلام علي ما وقع من الرويه والمناجاة
والكلام وفرض الصلاة وما وقع من المراجعة فيها قوله
في القصة فراي ربه فيه دليل علي وقوع الرويه تلك

الليلة

الليلة صلي الله عليه وسلم وقد روي الامام احمد بسند
صحيح عن بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم رايت ربي عز وجل وقد اختلف السلف
من الصحابة والتابعين وغيرهم في رويته صلي الله
عليه وسلم لربه ليلة المعراج ببصره فنفت ذلك عايشة
وذهبت الي انه انما راه بقلبه وهو المشهور عن ابن مسعود
وجاء مثله عن ابي هريرة واليه ذهب كثير من المحدثين
والمتكلمين وذهب ابن عباس الي انه راه ببصره وبه قال
ساير اصحاب ابن عباس وبه جزم كعب الاحبار والزهري
وصاحبه معمر واخرون وحكي عن الحسن انه كان يحلف
ان محمدا راي ربه وبه قال الشيخ ابو الحسن الاشعري وساير
اتباعه وقال الامام النووي الراجح عند الاكثرين لعلما
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم راي ربه بعيني
راسه ليلة المعراج وبسط الكلام علي ذلك وقال هو
وغيره لم تنف عايشة الروية بحديث مرفوع ولو كان معها
لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط علي ما ذكرت من
ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي
اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول
حجة اتفاقا وقد خالف عايشة بن عباس وغيره مما
تقدم بل اخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس
انه كان يقول نظر محمد الي ربه مرتين مرة ببصره ومرة

بفواده وقد تعقب قولهم انهما لم تنف ذلك بحديث مرفوع
اخ بان ذلك عجيب فقد اخرج مسلم في صحيحه عن مسروق
انه لما قال لعايشة الم يقل الله تعالى ولقد راه بالافق
المبين ولقد راه نزلة اخري فقالت له انا اول الامة سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انما هو جبريل
واخرجه بن مردوية ايضا عن مسروق انها قالت له
انا اول من سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا
فقلت يا رسول الله هل رايت ربك فقال لا انما رايت جبريل
منهبطا لكن التقي السبكي لما نقل في تفسيره عند قوله
تعالى ما كذب الفواد ما راي قول بن عطية ان حديث
عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع لكل تاويل في اللفظ
لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القران نظر
السبكي في حديثها المخرج في مسلم المذكور انفا بانه ان كان
سوالها يعني عايشة ولقد راه نزلة اخري فليس مما نحن
فيه وجايز ان يكون ذاك جبريل وهذا وان كان عن
الايتين فيقرب ما قاله بن عطية والاحتمال الحاصل فيما
سالت عنه ليس في لفظها صراحة بذكره ثم قال السبكي
في اخر كلامه بعد ان نقل كلام النووي السابق وقد قدمنا
عن عايشة حديثا في مسلم وتمسك به ابن عطية وابدينا
فيه احتمالا فلذلك يستمر ما ادعاه هولا الايمة من ان
عايشة لم تذكر فيه نصا وبان بهذا ان الراجح في تفسير

الاية

س

الاية ان الروية بالبصر وانها لله تعالى انتهى وذهب
جماعة الي الوقف في هذه المسيلة ولم يجزموا بنفي ولا
اثبات لتعارض الادلة ورجح ذلك الامام ابو العباس
القرطبي في المفهم وعزاه لجماعة من المحققين وقواه
بانه ليس في الايات دليل قاطع وغالب ما استدل به
الطايفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال
وليست المسيلة من العمليات فيكتفي فيها بالادلة
الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها الا بالدليل
القطعي وقال التقي السبكي رحمه الله في السيف المسلول
ليس من شرطه ان يكون قاطعا متواترا بل متى كان
حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاد جاز
له ان يعتمد عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسايل
الاعتقاد التي يشترط فيها القطع انا لسنا مكلفين بذلك
تنبيهات الاول منها قال الحافظ ابن حجر المراد بروية
الفواد روية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله
عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام بل مراد من
اثبت انه راه بقلبه ان الروية التي حصلت له خلقت
في قلبه كما تخلق الروية بالعين لغيره زاد بعضهم بخلاف
غيره من الاوليا فانهم اذا اطلقوا الروية والمشاهدة لانفسهم
فانهم انما يريدون المعرفة فاعلمه فانه من الامور المهمة
التي يغلط فيها كثير من الناس انتهى والروية لا يشترط

لها شي بخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين
قال الواحدي وعلى القول بانه راه بقلبه جعله الله تعالى
بصره في فواده او خلق لفواده بصرا حتى راى ربه روية
صحيحة كما يرى بالعين انتهى **التنبيه الثاني** ان محل
الخلاف الذي بين الصحابة في الروية انما هو في وقوعها
لا في امكانها وجوازها ومعاذ الله ان يختلفوا في امكانها
ومحاورتهم انما كانت في الوقوع واختلافهم في ذلك دليل
على اجتماعهم على جوازها قال القاضي عياض روية الله
عز وجل جايزة عقلا وثبتت الاخبار الصحيحة المشهورة
بوقوعها للمومنين في الاخرة اما في الدنيا فقال مالك
انما لم ير سبحانه وتعالى في الدنيا لانه باق والباقي
لا يرى بالفاني فاذا كانوا في الاخرة ورزقوا ابصارا
باقية راى الباقي بالباقي وهو كلام حسن مليح ليس
فيه دلالة على استحالة الروية الا من حيث ضعف
القوة فاذا قوى الله من شا من عباده اقتدر على
حمل اعبا الروية في اي وقت كان ولا مانع من ذلك
وهو الحق كما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى
جبريل والصحابة عنده لا يرونه للقوة التي امده
الله بها دونهم **قال** الحافظ ابن حجر وقع في صحيح مسلم
ما يويد هذه التفرقة بين الدنيا والاخرة في حديث
مرفوع فيه واعلموا انكم لم تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه
ايضا

نخ
فيري صح

ايضا ابن ابي خزيمة من طريقين فاذا جازت الروية
في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي
صلى الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم
كلامه ومع القول بجوازها في الدنيا لم تحصل لبشر غير
نبينا صلى الله عليه وسلم على ما في ذلك من الخلاف ومن
ادعاها غيره في الدنيا يقظة فهو ضال بل قال الامام
الكواشي في تفسيره في سورة النجم ومعتقد روية الله
هنا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم غير مسلم وقال
الاردبيلي في الانوار فلو قال اني ارى الله عيانا في الدنيا
ويكلمني شفاها كفر انتهى ونقل عن المهدوي المفسر
انه كفر مدعي الروية هنا وقد نقل طايفة الاجماع على انها
لا تحصل للاوليا في الدنيا قال الشيخان ابو عمرو ابن
الصلاح وابو شامة انه لا يصدق مدعي الروية في
الدنيا يقظة غير نبينا فان شيا منع منه كليم الله موسى
صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لا يصل لمقامه مما
لا يتوقف فيه انه لا يحصل لاحاد الناس وقال الشيخ
ابو بكر الكلاباذي في التعريف ان المشايخ اطبقوا
على تضليل مدعيها يعني الروية في الدنيا وتكذيبه وص
وصنفوا في ذلك كتبا ورسايل وزعموا ان من ادعى
ذلك لم يعرف الله واقره العلا القونوي في شرحه
على ذلك وقال وان صح عن احد من المعتبرين وقوع

الدين صح

ذلك فيمكن تاويله وذلك لان غلبات الاحوال تجعل
الغايب كالشاهد حتى اذا كثر استغال السر بشي واستحضا
له يصير كانه حاضر بين يديه وهذا معلوم لكل احد
وعلى هذا يحمل ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما انه
كان يطوف حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد
عليه فشكاه الى عمر رضي الله تعالى عنه فقال كنا نرا الله
في ذلك المكان وهذا يدل على انه قد يتفق ذلك في زمان دون
زمان ومكان دون مكان واما في الاخرة فقد دل
الكتاب والسنة على حصول الروية للمومنين فيها لانه
يزول الضعف عن حواسهم فيرونه اما الكفار فلا يرونه
وكذا ساير الحيوانات وقد اختلف في روية الله تعالى
في المنام معظم المتنبين للروية على جوازها من
غير كيفية وجهة ونقل بعضهم عن النووي انه قال
انه قال قال القاضي عياض اتفق العلما على جواز
روية الله في المنام وصحتها وان راه الانسان
على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجسام لان
ذلك المرئي غير ذات الله تعالى اذ لا يجوز عليه
سبحانه وتعالى التجسيم ولا اختلاف الاحوال بخلاف
روية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فرويته
كساير انواع الرويا من التمثيل والتخييل وقال بعض
المحققين ان ذكر روية المنام في مباحث الروية

استطرادي

استطرادي لان رويا المنام نوع مشاهدة بالقلب دون
العين انتهى وحكي عن كثير من السلف انهم راوه عز وجل
في المنام فنقل عن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه
انه قال رايت رب العزة في المنام فقلت يا رب بم يتقرب
اليك المتقربون وفي رواية ما افضل ما يتقرب به
المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قلت يا رب بفهم
او بغير فهم قال بفهم وبغير فهم فهذا يدل على ان مذهب
الامام احمد الجواز ونقل ان الامام ابا حنيفة رضي الله
عنه قال رايت رب العزة في المنام تسعا وتسعين مرة
فقلت في نفسي ان رايته تبارك وتعالى تمام المائة
لاسألن منه بم ينجو الخلايق من عذابه يوم القيامة
قال فرايته سبحانه وتعالى فقلت يا رب عز جارك
وجل ثناوك وتقدست اسماوك بم ينجوا عبادك
يوم القيامة من عذابك فقال سبحانه وتعالى من قال
بالغداة والعشي سبحان الابدي الابد سبحان الواحد
الاحد سبحان الفرد الصمد سبحان رافع السما بغير
عمد سبحان من بسط الارض على الما بجمد سبحان
من خلق الخلق واحصاهم عدد سبحان من قسم الرزق
ولم ينس احد سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد
سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
نجا من عذابي نقل ذلك صاحب مجمع الاحباب في لطر

فائدة

نسخة
سبحان من رفع
نسخة
على ماء جمد

فايدة

ترجمته عن بعض الكتب وعن الترمذي الحكيم وهو
من مشايخ الرسالة القشيرية قال رايت الله في المنام مرارا
فقلت له يا رب اني اخاف زوال الايمان فامرني بهذا
الدعا بين سنة الصبح والفريضة احدي واربعين مرة
وهو هذا يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض
يا ذا الجلال والاكرام يا الله لا اله الا انت اسئلك ان
تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا ارحم الراحمين
وعن الامام ابي العباس ابن شريح الباز الاشهب انه
راي في مرض موته في منامه كان القيامة قد
قامت واذا الجبار سبحانه وتعالى يقول اين العلما
فجاوا فقال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا قصرنا واسانا فاعاد
السوال كانه لم يرض ذلك الجواب واراد جوابا اخر
فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت
ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات
بعد ذلك بثلاث ليال والمنامات في ذلك كثيرة وفيما
ذكرناه منها كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم وقوله
في القصة وكلمه ربه الي ان قال وجعلتك اول النبيين
خلقا واخرهم بعثا ووقع في بعض الروايات وجعلتك
فاتحا وخاتما قال بعضهم فان قلت ما الفرق بين
هذا وبين قوله وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم
بعثا قلت الفاتح والخاتم اعم من هذا اذ يصدق بانه

فاتح

فاتح كل خير وخاتمه فيندرج فيه هذا بهذا المعني
واول من جهة الخلق خاص وكذلك كونه اخرهم
من جهة البعث فتامل انتهي وقوله واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت العرش الخ فان قيل المعراج
كان بمكة ونزول الاية بالمدينة فيجاب بما قاله بعضهم
ليس المراد بقوله اعطي انها نزلت عليه بل المعني انه
استجيب له فيما لقن من الايتين من قوله تعالى
غفرانك ربنا الي اخرها ولمن يقوم بحقهما من السائلين
انتهي او المراد انه اعطاه ما سينزله عليه بعد ذلك
وقوله فرضت عليك وعلي امتك خمسين صلاة فقم
بها انت وامتك وفي رواية وحي واعطي رسول الله صلي
الله عليه وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة
وغفر لمن يشرك بالله من امته شيا المقحمات وفي رواية
انس عن ابي ذر فرض الله علي امتي خمسين صلاة وفي
رواية ثابت عن انس فرض الله علي خمسين صلاة
كل يوم وليلة فيحتمل ان يقال في كل من هاتين
الروايتين اختصار ويوين قوله في الرواية المتقدمة
اني فرضت عليك وعلي امتك الخ او يقال ذكر الفرض
عليه يستلزم ذكر الفرض علي الامة وبالعكس الا
ما يستثني من خصايصه وفي ذلك اشارة الي عظم
شان الصلوات لكون فرضها كان مختصا بليلة

الاسرا واختصاص فرضها بكونه بغير واسطة بل
بمراجعة تعددت والحكمة في تخصيص فرض الصلاة
بليلة الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راي
تلك الليلة تعبد الملايكة منهم القايم فلا يقعد والراكع
فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله له ولامته تلك
العبادات في ركعة واحدة يصليها العبد بشرايطها
من الطمانينة والاخلاص وفي فرضها تلك الليلة كما قاله
السهيلي التنبيه على فضلها حيث لم تفرض الا في الحضرة المقدسة
المطهرة ولذلك كانت الطهارة من شانها ومن شرايطها
والتنبيه على انها مناجات الرب تبارك وتعالى يقبل
بوجهه على المصلي يناجيه ويقول حمدني عبدي اثنى
على عبدي الى اخر الصلاة وهو المناسب لفرضها عليه
فوق السما السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج
به حتى طهر ظاهره وباطنه بما زمزم كما يتطهر المصلي
للصلاة واخرج عن الدنيا بجسده كما يخرج المصلي عن
الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شي الا مناجاة ربه وتوجهه
الى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع الى
السما كما يرفع المصلي يديه اشارة الى القبلة العليا وهو
البيت المعمور والى جهة عرش من يناجيه ويصلي له
سبحانه وتعالى وقوله في القصة فاتى على ابراهيم
فلم يقل شيا ثم اتى على موسى قال ونعم الصاحب كان لكم

قال

قال ما صنعت الخ قال ابن ابي جمرة الحكمة في كون ابراهيم
صلى الله عليه وسلم لم يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو الرضي والتسليم
والكلام في هذا المقام ينافي ذلك المقام وموسى هو الكليم
ومقامه مقام الادلال والانبساط ومن ثم استبد بامر
النبي صلى الله عليه وسلم بطلب التخفيف دون ابراهيم
صلى الله عليه وسلم مع ان للنبي صلى الله عليه وسلم من
الاختصاص بابراهيم ازيد مما له من موسى لمقام الابوة
ورفعة المنزلة والاتباع في المسيلة وقال القرطبي واما قول
من قول ان اول من لاقاه بعد الهبوط موسى فليس
بصحيح لان حديث مالك بن صعصعة انه راه في السادسة
وابراهيم في السابعة قال الحافظ بن حجر واذا جمعنا بينهما
بانه لقيه في الصعود في السادسة وصعد موسى في
السابعة فلقيه فيها بعد الهبوط ارتفع اشكال وبطل الرد
وقال القرطبي الحكمة في تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام
بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم في امر الصلاة لعلها لكون
امة موسى كلفت بالصلاة ما لم يكلف به غيرها من
الامم فثقلت عليهم فاشفق موسى عليه الصلاة والسلام
على امة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ويشير اليه
اني قد جربت الناس قبلك انتهى قال السهيلي اعتنا
موسى عليه الصلاة والسلام بهذه الامة والحاحه على

على نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف عنها بهذه الامة
لان الله تعالى لما قضى اليه بجانب الغربي وراى نعت
صفات امة محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح
وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا وكذا
اللهم اجعلهم امتي فيقول تلك امة محمد صلى
الله عليه وسلم فقال اللهم اجعلني من امة محمد
صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور في التفاسير
فكان اشفاقه عليهم واعتناوه بامرهم كما يعتني
بالقوم من هو منهم بقوله اللهم اجعلني منهم
انتهى وفي قول موسى صلى الله عليه وسلم فان
امتك لا تطيق ذلك الى اخره دليل على جواز الحكم
بما اجرى الله تعالى بحكمته من ارتباط العوايد
لان موسى عليه الصلاة والسلام حكم على هذه
الامة بانها لا تطيق بسبب ما اخبره وهو انه
عالج بني اسرايل ومن تقدم اقوى ولجلد
ممن ياتي بعد فراى موسى ان ما لم يحمله القوي
فمن باب اولى ان لا يحمله الضعيف بعد فحكم
بامر الحكمة في ارتباط العادة مع ان القدرة صالحة
لان يحمل الضعيف ما لا يحمله القوي وقد
ورد ان الصلاة التي كلفها بنوا اسرايل
ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل وركعتان

عند

عند الزوال ومع هذا لم يقوموا بذلك فمن ثم استكثر
الخمس لامة محمد صلى الله عليه وسلم واشفق
عليهم من التخلف عن القيام لواجبها فطلب
السوال في تقليلها وقد وقع في هذه الامة
ان كثيرا منهم يغلب عليه التفريط في الصلاة الخمس
وان كثيرا من المصلين مفرط في الشروط غير
موف بالحقوق فكان ذلك من اثار فراسة
موسى صلى الله عليه وسلم فيهم لانه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وقد رجع الغرض الى الخمس ارجع
الى ربك فاساله التخفيف فلم يرد النبي صلى الله
عليه وسلم فراسة موسى ولكن قال قد استحييت
وفي بعض الطرق انه قال ارضى واسلم وقوله عند
سوال التخفيف قد وضعت عنكم خمسا كذا في رواية
ثابت عن انس وفي رواية مالك ابن صعصعة
عشرا وفي رواية شريك وضع شطرها قال النووي
المراد بحط الشطر انه حط في مرات بمراجعات فلا
يخالف روايات ثابت قال الحافظ ابن حجر وكذا العشر
فكانه وضع العشر في دفعتين والشطر في خمس
دفعات او المراد بالشطر هنا البعض قال وقد حققت
رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا خمسا وهي رواية
معتمدة يتعين حمل باقي الروايات عليها خصوصا

وقد ايدها روايات لخر قال بعضهم دلت مراجعته
صلى الله عليه وسلم في طلب التخفيف تلك المرات كلها
انه علم ان الامر في كل مرة لم يكن على سبيل الالزام بخلاف
المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك كقوله ما يبدل القول
لدي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فعرفت
انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال ارجع
فلم ارجع وقيل انما امتنع النبي صلى الله عليه وسلم من
طلب التخفيف في المرة العاشرة لانه صلى الله عليه
وسلم تفرس ان هذا العدد لا يحط منه فاستحى ان
يسال الله في مظنة الرد ووجه التفرس ان الله
تعالى ادرج التخفيف خمسا خمسا فلو سال التخفيف
بعد ان صارت خمسا لكان سايلا في رفعها وفي رفعها
ارتفاع الصلاة بجملتها وقد علم انه لا بد من وظيفة
فلهذا ترك السوال وكشف الغيب ان العلم القديم
قد تعلق ببقا هذه الخمس ولهذا بقيت فصدقت
الفراسة واصابت الفكرة وفي ذلك دليل على ان الله
تعالى اذا اراد اسعاد عبد جعل اختياره في مرضات
ربه لان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله اختياره
وايثاره فيما اراد الحق تبارك وتعالى انفاذه وامضاه
وهو فرض الصلوات الخمس وذلك تكريم له صلى الله
عليه وسلم وترفيع لانه لو رجع وطلب التخفيف فلم

يخفف

يخفف كما كان اولا لكان اختياره مخالفا للمقدور
فلما ان اختار واسعف في اختياره كان دليلا على
ما استدللنا عليه وعلى علو منزلته صلى الله عليه
وسلم وفيه دليل للصوفية حيث يقولون ان الحال
حاكم لا محكوم لان النبي صلى الله عليه وسلم لما
ان ورد عليه حال الاشفاق على امته بادر الى طلب
التخفيف عنهم ولم ينظر لغير ذلك ثم لما ورد عليه
الحيا من الله تعالى لم يلتفت لامته اذ ذاك ولا
طلب شيا وقوله لا يبدل القول لدي ان قيل
لم يبدل القول حيث جعل الخمسين اجيب بان
معناه لا تبدل الاخبارات لانه تعالى اذا اخبر
عن حكم انه امضى التبديل والنسخ حينيذ لاجل
العلم وقد اخبر تعالى انه امضى الفريضة اي حدها
ابدها وجعل ثواب الخمس خمسين فلا يبدل لهذا
الخبر ولا يتوقع النسخ بعد ذلك اما التكليفات فانها
تبدل وتنسخ كما نسخ الخمسين الى خمس او لا يبدل
القضا المبرم لا القضا المعلق الذي يمحوا الله ما يشا
منه ويثبت او معناه لا يبدل القول بعد ذلك وقد
استدل بتخفيف الخمسين الى خمس على جواز النسخ
قبل التمكن من الفعل وقبل دخول الوقت كما هو
مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة وقوله وغفر

لمن لم يشرك بالله شيا من امته المقحمات بضم الميم
وسكون القاف وكسر الحا الذنوب العظام الكبائر
التي تهلك اصحابها وتقودهم الي النار والتقحم الوقوع
في المهالك قال النووي والمراد بغفرانها انه لا يخلد
في النار بخلاف المشركين وليس المراد به انه لا يعذب
اصلا وقد علم من نصوص الشرع واجماع اهل
السنة اثبات عذاب العصاة من الموحدين وقوله
في القصة فلما جاوزته نادي مناد مضيت فريضتي
وخففت عن عبادي من اقوي ما استدل به علي
ان الله تبارك وتعالي كلم نبيه صلي الله عليه وسلم
ليلة الاسرا بغير واسطة قال ابن بحية خص رسول الله
صلي الله عليه وسلم بالروية والمكالمة لانه صاحب
الشفاعة في القيامة فيونسه قبلها ليلا تقع له دهشة
البديهة كما تقع لغيره من الانبيا فاراد الله سبحانه
وتعالي ان يزيل عنه قبل ذلك المقام الانقباض ليتمكن
من المقام المحمود واهله سبحانه وتعالي قبل للمشهد
الاعلي للمشاهدة والكلام ثم رفعه الي مكان لا مكان
بعد مكانه ولا مقام وراء مقامه ليكون مشاهدا
للكل فيتفرغ في المشهد الاعلي ويتمكن في المقام
المحمود قال بعضهم في هذه المراجعة التي وقعت
بين موسي وبين النبي صلي الله عليه وسلم فوايد

منها

منها تكرار الشفاعة في القضية الواحدة الي ان
يتم مقصود الشافع ومنها الرجوع الي المشير الناصح
ومنها انه لا يمتنع من الشفاعة وان كان بخلافها
الي غير ذلك من الفوايد ولبعض الذايقين كلام في
هذا المقام بديع النظام سلك فيه مسلك اهل
المحبة ولحظ مذهبهم وقد علم كل اناس مشربهم
فقال لما سال موسي عليه السلام الروية فلم تحصل
البغية بقي الشوق يغلبه والامل ينقله فلما
تحقق ان للحبيب منح الروية وفتح له باب الامنية
كثر السوال والتراجع ليسعد بروية من قد راي
وردد في امر الصلاة للحبيب ليستفيد روية حبيب
الحبيب ولله در القايل واستنشق الارياح من نحو
ارضكم لعلي اراكم او اري من يراكم والقايل الاخر
وانما السر في موسي يردده ليجتلي حسن ليلي حين
يشهده يبدو سناها علي وجه الرسول فيا لله
در رسول حين اشهده قوله في القصة فلم يزل
يرجع بين موسي وبين ربه معناه بين موضع
مناجاة ربه وكذلك قول موسي له ارجع الي ربك
اي الي موضع مناجاة ربك فكان رجوعه من المكان
الذي لقي فيه موسي الي الموضع الذي وقعت فيه
المناجاة والسوال لربه ولا يلزم من موضع السوال

ان يكون المسئول فيه اويكون جايزاله تعالى الله
جل وعلا وتنزه عن الجهة والمكان فرجوع النبي صلى
الله عليه وسلم اليه رجوع الى السوال فيه لشرف
ذلك الموضع على غيره كما كان الطور موضع سوال
موسى في الارض ومنتهى انتهايه صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة التي عرج به فيها الى ان ظهر لمستوي سمع
فيه صريف الاقلام كان هو ونبي الله يونس اذ التقمه
الحوت وذهب به في البحار يشقها حتى انتهى به الى
قرار البحر سوا في القرب من الله تعالى لتعاليه تعالى
وتنزيهه عن الجهة والمكان والتحيز والاحاطة والحد
وقد نقل القرطبي في التذكرة ان القاضي ابابكر بن العربي
المالكي ذكر قال اخبرني غير واحد من اصحابنا عن
امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله
ابن يوسف الجويني انه سيل هل الباري في جهة
فقال لا هو متعال عن ذلك قيل له ما الدليل عليه
قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على يونس ابن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا
الخبر قال لا اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي
بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها
اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان
يونس ابن متى رمى نفسه في البحر فالتقمه الحوت

وصار

وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر
الله تعالى عنه ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم
حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به
صعدا حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف
الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه واوحى الله اليه
ما اوحى باقرب الى الله من يونس في ظلمة البحر
فالله سبحانه وتعالى قريب من عباده يسمع
دعاهم ولا يخفى عليه حالهم كيف ما تصرفت
من غير مسافة بينه وبينهم فيسمع ويرى
دبيب النملة السودا على الصخرة الصما في الليلة
الظلما تحت الارض السفلى كما يسمع ويرى تسبيح
حملة العرش من فوق السموات السبع العلى
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة احاط بكل شي
علما واحصى كل شي عددا **الوجه الثلاثون**
في الكلام على ما وقع له في رجوعه من الاسرا
من شرب الما وحبس الشمس له وغير ذلك
قال السهيلي فان قيل كيف استباح النبي صلى
الله عليه وسلم شرب الما الذي هو في القدح
وهو ملك لغيره واملاك الكفار لم تكن ابيحت
يوميذ ولا دماوهم في الجواب ان العرب
في

الجاهلية كان في عرف العادة عندهم اباحة اللبن
لابن السبيل فضلا عن الما وكانوا يعهدون بذلك
الي رعاتهم ويشرطون عليهم عند عقد اجارتهم
ان لا يمنعوا اللبن من احد مر بهم فكيف الما والحكم
بالعرف في الشريعة اصول تشهد له انتهى وقد
وذكر ايمتنا رحمهم الله تعالى في الخصايص انه صلي
الله عليه وسلم ابيح له اخذ الطعام والشراب
من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج النبي صلي
الله عليه وسلم اليهما وانه يجب علي صاحبهما البذل
له صلي الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولي
بالمومنين من انفسهم وقوله في القصة وحبست
عليه الشمس لما سالوه عن العير متى تجي قال
يوم الاربعا فجعلوا ينتظر ونها وقد ولي النهار
ولم تجي فدعى النبي صلي الله عليه وسلم فزيد له في
النهار ساعة فقد رواه البيهقي وغيره واخرج
الطبراني في الاوسط عن جابر ان النبي صلي الله
عليه وسلم امر الشمس ان تتاخر ساعة من النهار
فتاخرت ساعة من النهار وسنده حسن كما قاله
الحافظ ابو الحسن الهيثمي في مجمع الزوايد والحافظ
ابن حجر في فتح الباري في باب قوله صلي الله عليه
وسلم احلت لكم الغنايم والحافظ ابو ذرعة

الولي

الولي العراقي في شرح التقريب قال الحافظ ابن
حجر ولا يعارضه ما رواه احمد بسند صحيح عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلي عليه وسلم ان
الشمس لم تحبس الا ليوشع بن نون ليالي سار
الي بيت المقدس ووجه الجمع ان الحصر محمول
علي من مضي من الانبيا قبل نبينا محمد صلي
الله عليه وسلم فلم تحبس الشمس ردت علي
النبي صلي الله عليه وسلم الا ليوشع وليس
فيه نفي انها قد تحبس بعد ذلك لنبينا
صلي الله عليه وسلم انتهي وقد ورد ان الشمس
ردت علي النبي صلي الله عليه وسلم بعد ما غربت
وروي الطبراني باسانيد بعضها ثقات عن
اسما بنت عميس قالت ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم صلي الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة
فرجع وقد صلي النبي صلي الله عليه وسلم العصر
فوضع رسول الله صلي الله عليه وسلم راسه في
حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس
فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك
عليا احتبس بنفسه علي نبيه فرد عليه الشمس
قالت اسما فطلعت الشمس حتي وقعت علي الجبال
وعلي الارض وقام علي فتوضا وصلي العصر

ثم غابت وذلك بالصهبا بخيبر وفي لفظ اخر كان
عليه الصلاة والسلام اذا انزل عليه الوحي يغشى
عليه فانزل عليه الوحي يوما وهو في حجر علي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر
قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد الشمس حتى
صلى العصر فقال فرايت الشمس طلعت بعد
ما غربت والحديث رجاله موثقون وغالبه من
رجال الصحيح وقد حسنه الحافظين الولي
العراقي والجلال السيوطي ولا يلتفت لايراد
ابن الجوزي له في الموضوعات فقد خطاه الحافظ
في ذلك ومن فوايد طلوع الشمس بعد غروبها
ان الوقت يعود ومن ثم لما عادت صلى علي العصر
اذ لولا عودها لم يكن الا لذلك ومثل ذلك ما لو
تاخر غروبها عن وقته المعتاد فان الوقت
باق كما في حبسها في قصة الاسرا لدخول العير
كما تقدم قبل التاخير او في بقا الوقت قال ذلك
ابن العماد في التعقبات وقد صرح القرطبي بذلك
في التذكرة في باب ما يذكر الموت والاخرة فقال
فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد الوقت
لما ردها عليه انتهى ووجه بعضهم لان الشمس
لما عادت كانها لم تغب وقد وقع حبس الشمس كرامة

لبعض

لبعض اولياء هذه الامة وذكر ابن السبكي في طبقاته
واليافعي في كفاية المعتقد وغيرهما ان تمسا
استقفا من قال اليافعي وربما تواتر من كرامات
الشيخ الكبير سيدي اسماعيل ابن محمد الحضرمي
شارح المهذب رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته
انه قال يوما لخادمه وهو في سفر قل للشمس
تقف حتى نصل الى المنزل وكان في مكان بعيد
وكان عادة اهل المدينة انهم لا يفتحون بابها
بعد الغروب لاحد فقال لها الخادم قال لك الفقيه
اسمعيل قفي فوقفت حتى بلغ مكانه ثم قال للخادم
ما تطلق ذلك المحبوس فامرها الخادم بالغروب
فغربت واظلم الليل في الحال وهذا من باب
ما كان معجزة لنبي جاز انه يكون كرامة لولي
خاتمة اخرج ابن مردويه عن انس رضي الله
تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم منذ اسري به ريحه ريح عروس واطيب
من ريح عروس قال بعضهم فقد كانت الرائحة
الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم
يمس طيبا وروينا عن انس قال ما شممت ريحا
قط ولا عنبرا اطيب من ريح رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية للبخاري

ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رايحة النبي
صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي ولا شممت
مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن انس قال دخل علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عندنا فعرق وجاءت امي
بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا قالت
هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب الطيب رواه مسلم
وروى ابو يعلى والطبراني قصة الذي استعان به
صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شي
فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال
مرها فلتتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل
المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وقال
جابر ابن عبد الله كان في رسول الله صلى الله عليه
وسلم خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف
انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر
الا سجد له رواه الدارمي والبيهقي وابو نعيم وبه
در القايل ولو ان ركبا يمموك لقادهم نسيمك حتى
يستدل به الركب هذا ما نقله كالمولف ثم غيره
بالبيت الثاني في الاصل الخ ولو ان ركبا يمموه لقادهم
نسيمه حتى شذاه واستدل به الركب وعن انس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق

من طرق المدينة وجدوا منه رايحة الطيب قالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه ابو
يعلى والبزار باسناد صحيح فنسال الله ان يمدنا
من مدد سيد المرسلين وان يجعلنا لاقواله
وافعاله من المتبعين ولسنته من المتمسكين وان
يدخلنا في شفاعته ويجعلنا تحت لوايه يوم
الدين صلى الله عليه وسلم وجزاه عنا افضل ما جزا
نبيا عن امته ورضي الله عن اله وصحابته اجمعين
والتابعين وتابعيهم والايمة المجتهدين وساير علماء المسلمين
قال مولفه تغمده الله بالرحمة والرضوان
واسكنه اعلا غرف الجنان
وكان الفراغ من تكملة عشية
نهار الاربعا سابع عشر ربيع
الاول سنة تسع وسبعين
وتسعماية احسن الله
تقضيها وبارك في
ايامها ولياليها
وصلى ذلك
خاطاه الواحد
الكريم
موجبا
للفوز
بجنات
النعيم
م

وكان الفراغ من كتابته في يوم
مبارك ثاني ربيع الاول
الخير سنة خمسة وثمانين
من شهور ١١٨٥